النشاط المعجمي في الأندلس

النشاط المعجمي في الأندلس

تأليف

د. يوسف عيد

دار الجيل
بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

اهداء

إلى التي كابدت
وضحَّت
وحرقت صفحة حياتها
لتنير
صفحات كتابي

- إلى امرأتي -

المعجم واللغة:

- رأي ورؤية -

تمهيد

من طبيعة النظام اللغوي أن يصلح «للجدولة»، فيكون له من معانيه بعد رأسي وآخر أفقي، وتكون نتيجة الالتقاء بين البعدين وحدة معنية من وحدات النظام. ولما كان طابع النظام اللغوي عضويًا[1] الى هذا الحد، اصبح من الصعب على اللغة أن تستعير من لغة أخرى أحد أصواتها أو أية ظاهرة سياقية من ظواهرها أو أية صيغة صرفية أو علاقة نحوية من علاقاتها وهذا ما يشدنا الى التساؤل حول علاقة المعجم باللغة.

هل يمكن أن يكون المعجم نظاما من انظمة اللغة كما يكون النظام الصوتي والصرفي والنحوي؟ وللإجابة عن ذلك نرى أنه من الضروري النظر في الأمور الثلاثة الآتية:

١ - العلاقات العضوية بين كلمات المعجم.

---

(١) تتألف اللغة من النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي. (اللغة العربية معناها ومبناها. تمام حسان. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ص ٣٢٠).

٢ ـ امكانية الجدولة.

٣ ـ عدم إمكانية الاستعارة بين لغة وأخرى.

فالناحية الأولى تتلخص بأنه ليس بين كلمات المعجم أية علاقة عضوية وقد يكون بين كل طائفة من هذه الكلمات علاقة اشتقاقية كاشتراكها في أصول المادة، لكنها تختلف عمّا نرمي إليه لأن العلاقة العضوية لأية وحدة من وحدات النظام تدخلها في علاقة خلافية[١] مع بقية الوحدات جميعاً أيا كان موضعها من النظام[٢]. فإذا نظرنا مثلاً الى جدول الصرف واخذنا وحدة من وحداته التقسيمية كالاسم، وجدناه يختلف عن كل ما عداه. فالاسم يختلف عن الصفة باعتبارات وعن الفعل باعتبارات اخرى وعن الضمير والظرف والحرف كذلك في إطار النظام الصرفي.

ولو نظرنا في المعاني التصريفية كالتكلم والخطاب والغيبة والافراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، لوجدنا أن كل معنى من هذه المعاني له مكانه في النظام، لا يتركه ولا يطغى على أماكن المعاني الأخرى. فالتكلم والخطاب يتصلان بالافعال والضمائر، ولكن الغيبة تضم الى هذين الأسماء والصفات، لان الاسم والصفة هما في قوة ضمير الغيبة كما يقول النحاة، لذلك يسند الفعل اليهما على

(١) القيم الخلافية هي عناصر مهمة في نظام اللغة، وهي المقابلات أو نواحي الخلاف بين المعنى والمعنى أو بين المبنى والمبنى. وكل نظام لغوي يبنى اساسًا على مجموعة من القيم الخلافية التي بدونها لا يكون اللبس مأمونًا ولا الكلام مفهومًا. (المرجع نفسه ص :٣٤).

(٢) المرجع نفسه.

الصورة التي يسند بها إلى ضمير الغائب. هذا ما نقصده بالعلاقات العضوية بين وحدات النظام.

والمعجم اليوم، ليس كذلك إذ تنتفي عن كلماته سمة العلاقات العضوية، فلا يكون اذًا نظامًا.

والناحية الثانية تقول بأنه لا يمكن أن يوضع المعجم في صورة جدول لأنه تنقصه العلاقات العضوية بين مكوّناته. فمن شروط الجدولة المعجمية أن توضع بين مكوناتها هذه العلاقة. وإذا كان المعجم غير صالح لذلك فلا يمكن أن يكون نظامًا لغويًّا.

والمعجم، بحكم طابعه والغاية منه، ليس إلا قائمة من الكلمات التي تسمى تجارب في المجتمع. وشأن هذه الكلمات أن تحمل أيضاً كل واحدة، الى جانب دلالتها بالاصالة والحقيقة على هذه التجارب، المجاز على غير عدد منها. فاذا استبدلنا كلمة «التجارب» بـ«المعاني» يصح أن نقول: إن الكلمة المفردة، والتي هي موضوع المعجم، تشير إلى غير معنى وهي مفردة؛ ولكنها إذا وضعت في «مقال» الذي يفهم على ضوء «مقام» انتفى هذا التعدد عن معناها ولم يبق لها في السياق إلا معنى واحد؛ لأن الكلام لا بد من أن يحمل من القرائن المقالية أي اللفظية والمقامية والحالية، ما يعين معنى واحدًا لكل كلمة. وفي هذا المجال يمكن أن نعتبر أن علم البيان، وهو علم دلالات المفردات، يمثل الجانب النظري من «علم المعجم» فيبين كيف تخرج الكلمة على معناها الحقيقي الى معان أخرى مجازية. وعلى ضوء ذلك يحسن في الجانب

النظري للمعجم دراسة أصل الدلالة الحقيقية نفسها بالنظر في طرق العرف والوضع بالارتجال والتعريب. ذلك هو الجانب النظري للمعجم الموزع بين علم البيان وعلم الصرف وعلم المتن وبحوث فقه اللغة وتاريخ الادب، وقد آن أن يتوحد في علم واحد يسمى «علم المعجم»، ويتخذ بالتالي موضوعا اساسيًا له طرق المعاجم ومادتها ومعناها.

المعجم اذًا، جزء من اللغة ولكنه ليس نظامًا من انظمتها. وهو معين صامت، مستعمل بالقوة لا بالفعل، شأنه في ذلك شأن اللغة نفسها.

أما الناحية الثالثة فهي صعوبة الاستعارة بالنسبة الى وحدات اللغة، والملاحظ في ذلك، أن الاقتراض بين اللغات هو الكلمات المفردة ومكوّنات المعجم. فاللغة العربية، منذ الأمد البعيد، اشتملت على مفردات مستعارة من لغات أخرى، وعلى ذلك أمثلة كثيرة، غير أنها لم تستعر من غير لغتها، لا قاعدة ولا طريقة. ومعنى ذلك كله أن المعجم لا يمكن لهذا السبب أن يوصف بأنه نظام.

واذا لم يكن المعجم، كما رأينا، نظاما من أنظمة اللغة لأنه لا تتوافر له مقومات النظام، فلا بد من أن يكون منهجه متجهًا إلى دراسة «قائمة» من الكلمات تشتمل على جميع ما يستعمله المجتمع اللغوي من مفردات، ونتيجة ذلك فهو يمد اللغة بمادة عملها.

وفي ظل هذا التفريق بات علينا أن نشرح طبيعة الكلمة في المعجم فنقول:

المعروف أن اللغة باعتبارها نظامًا أكبر، لا بد من أن تكون صامتة وقد أشرنا الى ذلك لأن النظام لا ينطق، بل الذي ينطق هو الكلام في إطار هذا النظام. والمعجم جزء من اللغة لا من الكلام ومحتوياته المختزنة في ذهن الفرد أو المقيدة بين دفتي الكتاب.

ولو لم تكن الكلمة المعجمية صامتة في ذاكرة المجتمع أو بين دفتي المعجم لكانت بالضرورة منطوقة على ألسنة المتكلمين. فالفرد يحوّل الكلمة من الصورة الى الحقيقة الحسية، سمعيًا أو بصريًا، ويحولها من الإفراد، وهو طابع المعجم، الى السياق الاستعمالي، وهو طابع الكلام. فالفرق بين الكلمة واللفظ هو الفرق بين اللغة والكلام. فاللغة، والكلمة وحدة من وحداتها، صامتة. والكلام، واللفظ جزء من نسقه، محسوس.

واللغة سكون والكلام حركة[1].

إن «علم البيان» وهو فرع من فروع «علم البلاغة» يصلح أساسًا نظريًا لبناء علم خاص بدراسة المعجم نظريا وعمليا، يسمى «علم المعجم»، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً. وهذا العلم من الجانب النظري، يمكن أن يشرح لنا كيفية وضع الكلمات وهي رموز للمعاني فيتناول الاشتقاق والارتجال والتعريب والنحت والتوليد ... ويشرح كذلك القيمة العرفية لدلالة الكلمة مبيّنا الفرق بين العرف

---

(١) تمام حسان: اللغة العربية ص٣١٧.

الخاص والعرف العام في معنى الكلمات، ويشرح لنا طبيعة المعنى المعجمي وتعدده واحتماله والفرق بينه وبين المعنى الوظيفي والمعنى الدلالي، ويظهر لنا لماذا كان المعنى المجازي معتبرًا في المعجم، كما يتناول مباحث نظرية بيانية أخرى لا غنى للمعجم عنها. أما عمليًا فيشرح لنا أفضل منهج لوضع المعاجم ذاكرًا الغاية الاساسية من كتابتها. وما الذي يتوقعه المرء حين يتناول المعجم في يده ليكشف عن كلمة فيتطرق عند ذلك الى الصلة بينه وعلم الصوتيات، مع الأخذ بعين الاعتبار أن المعجم لا ينبغي مطلقا أن يشتمل على كلمات يخترعها الأفراد قبل أن تروج وتصل الى مستوى الاستعمال العربي، حتى ولو كان صاحب المعجم يتنبأ لكلمة ما بالرواج والوصول الى المستوى العرفي لأن المطلوب هو العرف الواقعي لا ما هو متوقع. وللإجابة عن ذلك نتناول المعنى المعجمي بالتحليل من خلال الأسباب الآتية:

١ ـ الاحتمال والتعدد في المعنى المعجمي.

٢ ـ كيفية شرح المعنى في المعجم.

٣ ـ صلة المعنى المعجمي بأنظمة اللغة. (الصوتية والصرفية والنحوية).

ونبدأ بالأمر الأوّل فنقول: إن طبيعة المعنى المعجمي ان يكون محتملًا ومتعددًا. وهاتان الصفتان تقودان الى المعاني. فالكلمة في المعجم، لا تفهم إلا منعزلة عن السياق وهذا هو المقصود بوصف الكلمات في المعجم بأنها «مفردات» على حين لا توصف بهذا

الوصف وهي في النص إلا بعد استخراجها منه لتحديد معناها المناسب. اما تعدد معنى الكلمة في المعجم فيعود الى صلاحيتها للدخول الى غير سياق.

وفي هذه الصلاحية يأتي تعدد معنى الكلمة واحتمالها في حالة الافراد. نورد على سبيل المثال كلمة مفردة مع احتمال تعدد معانيها.

يتعدد معنى كلمة « صاحب » على هذا الوجه:

١ ـ لقب (اي ذو) اي صاحب الجلالة
٢ ـ مالك اي صاحب البيت
٣ ـ صديق اي صاحبي
٤ ـ رفيق اي صاحب « محمد » رسول الله.
٥ ـ منتفع اي صاحب المصلحة
٦ ـ مستحق اي صاحب الحق
٧ ـ مقتسم اي صاحب نصيب الأسد.

فكلمة « صاحب » بمفردها احتملت هذه المعاني. وهي لا تختص بواحد منها إلا إذا اضيفت. أما كلمة « ضرب » مثلًا فمن معانيها ما يلي:

١ ـ عاقب نحو ضرب زيد عمرًا
٢ ـ ذكر نحو ضرب الله مثلًا
٣ ـ أقام نحو ضرب له قبة
٤ ـ صاغ نحو ضرب العملة

٥ ـ حدد   نحو   ضرب له موعدًا
٦ ـ سعى   نحو   ضرب في الأرض
٧ ـ حسب   نحو   ضرب خمسة في ستة.

وقد تأتي هذه الكلمة بمعنى « الارتباك» في عبارة « ضرب اخمسًا في اسداس » والمعنى، معجمي في الكلمة المفردة فقط. أما حين تدخل في السياق فإن معناها لا يسمى معجمًا نظرًا الى أن السياق يحفل بالكثير من القرائن الحالية والمقالية التي قد تعطي الكلمة من المعاني ما لا يرد على بال صاحب المعجم. ولعل تعدد المعنى واحتماله من جهة وتحدده وتعينه من جهة أخرى هو الفارق الاساسي بين الكلمة التي في المعجم واللفظ الذي في النص.

الأمر الثاني أن المعجم ليس كتاب قواعد لانه ليس نظامًا من انظمة اللغة ولا ينبغي للمرء أن يكشف في المعجم عن قاعدة صوتية، صرفية او نحوية، لأن القواعد بفروعها المتنوعة تتكفل بشرح المعنى الوظيفي بواسطة وصف سلوك الرموز. فالقواعد «La grammaire» تشمل النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي. أما المعجم فهو الخطوة التالية بعد القواعد ولا يأتي بعده من هذه المستويات، على ما نظن، إلا علم الدلالة «La Sémantique». تلك هي الاجابة السلبية لمن أراد ان يكشف عن معنى كلمة في المعجم.

أما ما يتوقعه المرء من أن يقدم له المعجم فهي المعلومات الآتية:

أ ـ **طريقة نطق الكلمة:** يتوقع المرء حين يكشف عن معنى الكلمة في المعجم، أن يحدد له طريقة نطقها ما دام النظام الاملائي لا يصل الى هذه الغاية. فمثلًا الحروف التي لا تنطق وتكتب كالواو في «عمرو» والحروف التي لا تكتب «كواو المد» في «داود» وامثلة كثيرة تقاس على ذلك. لكنه لا يحظى بما يرنو إليه. ففي لغات العالم الحية معاجم خاصة لنطق الكلمات[1]. أما الطريقة التي درجت عليها المعاجم العربية للوصول الى هذه الغاية «ايضاح طريقة النطق» فهي أن تصف حركات الكلمة وحدها وإعجام الحروف أو إهمالها.

ب ـ **التهجئة:** لا بد أن يختلف اساس هجاء كلمتين قد يبدو لأول وهلة أنهما متشابهتان مثل: «عزا» و«عزى»[2] وفي هذه الحال يأتي دور المعجم؛ فعليه أن يكون مظنة من مظان الإجابة عن كيفية كتابة كلمة ما، فيقدم هذا العون لمن يأخذه الالتباس بين الألفين. ومثل ذلك يقال في الكلمات التي تشتمل على الهمزات التي يختلف موضعها في الصورة الكتابية. ومهمة المعجم أن يكون ايضاً مظنة الوصول الى تهجئة هذه الكلمات طالما أن استخراج القاعدة يتطلب معرفة خاصة بالقواعد. والذي لا بصر له بتلك القواعد، يكون المعجم خير دليل له ومعين.

---

(١) معجم دانيال جونز لنطق الكلمات في اللغة الإنكليزية English Pronouncing Dictionary.

(٢) ـ عزا: يَعْزُو عزاء، صبر.
ـ عزى: يَعْزِي عَزْيًا: نسبه إليه.

جـ - **الصرف**: لعل ما يجب أن يقدمه المعجم للقارىء هو تحديد المبنى الصرفي للكلمة (إن كانت اسمًا، صفة أو فعلًا). فهذا التحديد، يعتبر الخطوة الاساس في الشرح، إذ يصعب على المرء ان يربط بين كلمة ومعناها المعجمي من دون اللجوء الى مبناها الصرفي. ويحدث احيانًا أن تأتي كلمة على صيغة صرفية محايدة مثل:

فاعل: لصفة الفاعل والأمر من فاعل نحو «نازل»

فعل: للصفة المشبهة والمصدر نحو «عدل»

فعيل: لصيغة المبالغة ولمعنى مفعول نحو «رفيع»

أفعل: للماضي والصفة المشبهة وأفعل التفضيل: نحو «أسمى»

فعلى المعجم إذًا، أن يعطي الكلمة من طرق الشرح ما يوضح معناها الصرفي كأن يقول مثلًا: «الأشرف؛ الفاضل في الشرف» فنعلم أن المقصود من هذا صفة التفضيل أو يقول: «اشرف على الشيء؛ اطل عليه» فيعرف أن المقصود هو «الفعل». و«العدل» بمعنى الصفة: العادل، وبمعنى المصدر: الإقساط في الحكم». فلا يمكن في هذه الحال أن يكون الشرح مفيدًا من دون التحديد الصرفي للكلمة.

د - **الشرح**: من المؤسف حقًا، أن نرى المعاجم العربية قليلة العناية بتسجيل التطور الشكلي للكلمات، على عكس ما تفعله المعاجم الأوروبية[1]. لأن الشرح يتطلب امورًا تلزم المعجم الوفاء

---

(١) معجم أوكسفورد الكبير Oxford Dictionary. الذي أعطى العناية الكافية لما =

بها وذلك وفقاً للأمور الآتية:

١ - أن يعرض الأشكال المختلفة إن وجدت للكلمة التي يشرحها. وقد تكون على اختلاف العصور، فلا ضير أن يورد صورًا لها مهجورة كانت أم مستعملة في وقتنا.

٢ - أن يخصص مدخلًا لكل مشتق من مشتقات المادة. لان الاشتراك في حروف المادة يعتبر صلة رحم بين الكلمات بالشكل وليس بالضرورة من حيث المعنى. كأن نأخذ كلمة الحَلْ والحُلْ والحِلْ فهذه الكلمة تشترك في الاصول وتختلف في المعاني[1]. فقد درجت المعاجم العربية على جعل حروف المادة مدخلًا ثم تلجأ الى تعداد الكلمات التي تأتي في سياقها على عكس بعض المعاجم الأجنبية التي تكثر عدد المداخل وتقلل عدد الكلمات.

٣ - ينبغي ان يتناول الشرح، المعاني المتعددة والمختلفة للكلمة. فالكلمتان المترادفتان لا يوجد بينهما، بالواقع، الا صلة وصل مشتركة في المعنى ثم تستقل كل واحدة بأقليمها الخاص خارج منطقة التداخل. ومن يستطع أن يجزم بأن السيف والمشرفي والهنداوي والحسام وغيرها... كلها بمعنى واحد؟ فهو لا شك في ان كل إسم من هذه الاسماء يستقل بمعنى خاص؛ وعليه فإن الشرح يجب ان يستوفي صورة أعم واشمل من مجرد الترادف.

= أطلق عليه اسم «وجهة النظر التاريخية» بالنسبة الى تطور الكلمات. انظر المعاجم اللغوية، دار النهضة العربية ص٩٦. القاهرة ١٩٦٦.

(١) الحَلْ: زيت السمسم، الحُلْ: وقت الإحلال. الحِلْ: ما جاوز الحرم من ارض مكة، الحلال المباح.

ويوضح أيضاً غير استعمال لغوي أو فني؛ خصوصًا إذا دخلت الكلمة ميدان الاصطلاح. فنأخذ مثلًا كلمة «الفاعل» التي تقبل وجوهًا عدة من المعاني:

ففي النحو: اسم مرفوع، وفي علم الجريمة: المجرم، وفي الفلسفة: المؤثر ضد القابل. فيحسن في تلك الحال ان يشير المعجم الى فروع العلم التي تستخدم فيها الكلمة بصورة اصطلاحية قبل ان يبدأ بشرح المعنى الاصطلاحي. كأن يقال مثلًا: الفاعل الذي يفعل وفي النحو: الاسم المرفوع الذي يسند إليه فعل متقدم مبني للمعلوم. وفي الجريمة الذي يجني الجناية وفي الفلسفة المؤثر... الخ.

وحاول الكتّاب العرب، ممن يعتنون بشؤون المعجم، الإهمال عند اختيار مصطلحاتهم الفنية، فيختارون، مثلًا، للتعبير الاصطلاحي كلمات لا تتصل بما قصد بها من معنى؛ كأن يعبّر عن «الاحساس» بكلمة «الشعور» وهي تحمل معنى فنيًا آخر، أو حين يريد التعبير عن معنى «محدّدة» أي لها حد وتعريف فيستعين لهذا المعنى بكلمة «محدودة» غير فطن الى أن هذه الأخيرة معناها «قاصرة». وما الى هنالك من امثلة لا عدّ لها ولا حصي...

٤ ـ أن يستخدم الاستشهاد على كل معنى من المعاني التي يوردها المعجم للكلمة. وينبغي ان يكون مختارًا بصورة حسنة بحيث يمثل المعنى المقصود تمثيلًا أمينًا سواء أكان هذا المعنى فنيًا، أدبيًا جماليًا أم عرفيًا، حتى لو ذكر المعجم للكلمة معنى سوقيًا كان من الافضل أن يكون الاستشهاد عليه من كلام السوقة واذا كان

المعنى المختار أدبيًا جماليًا، فإن الشاهد ينبغي ان يعطى من نصوص أدبية مختارة ومشهورة بجماليتها.

٥ ـ أن يتوخّى المعجم تحديد التضام[1] للكلمة، ويشير الى تغير المعنى مع كل ضميمة تتوارد مع الكلمة أو تتلازم معها. فمثلًا أن يقول في التوارد: صاحب الدار؛ مالكها، وصاحب الفضيلة المثقف في الشريعة، وصاحب الجلالة الملك، وصاحب المعالي الوزير، وصاحبي صديقي...

ذلك هو التوارد.

ونورد مثلًا عن الوجه الثاني «التلازم» فنقول: رغب فيه: طلبه وعنه: كرهه. وإليه: استعانه وهكذا. ومن التضام ايضًا ما يساق من تعابير بيانية أضحت أمثالًا لا تحتمل التغيير، فكان على المعجم، للوصول الى غايته، ان يذكر الضمائم؛ لان الاكتفاء بذكر الكلمة من دون ضمائمها يضيف إليه وجهًا سلبيًا آخر هو «الالتباس».

---

(١) يفهم التضام على وجهين:
١ ـ هو الطرق الممكنة في وصف جملة ما فتختلف طريقة منها عن الأخرى تقديمًا وتأخيرًا وفصلًا ووصلًا ويطلق عليه اصطلاح «التوارد» أي أقرب الى دراسة الاساليب التركيبية البلاغية الجمالية منه الى دراسة العلاقات النحوية والقرائن اللفظية.
٢ ـ أن يلتزم أحد العنصرين التحليليّين النحويّين عنصرًا آخر فيسمى «التلازم» أو يتنافى معه فيسمى «التنافي» (شرح الاشموني على ألفية ابن مالك. ت. محيي الدين عبد الحميد. ص٥٨٨.

ونورد نصًا من القاموس المحيط « للفيروزبادي » للنظر بمقدار وفائه بمطالب علم المعجم أو تقصيره عن ذلك:

« رَدَحَ؛ البيت: كمنع. وأردحه: أدخل شقة في مؤخرة، أو تكاثف عليه الطين. والرُدحة بالضم: سترة في مؤخرة البيت، أو قطعة تزاد في البيت، وكسحاب الثقيلة الأوراك، والجفنة العظيمة، والكتيبة الثقيلة الجرارة، والدوحة الواسعة، والجمل المثقل حملا، والمخصب، ومن الكباش الضخم الألية، ومن الفتن الثقيلة العظيمة جمعه ردح، ومنه قول الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه: إن من ورائكم أمورًا متماحلة ردحا، ويروى: والردح: الوجع الخفيف، والردحى بالضم - بقّال القرى، ولك عنه رُدحة - بالضم - ومرتدح اي سعة »[1].

ونلاحظ من هذا النص ما يأتي:

١ - تعدد المعنى المعجمي لكلمة « ردح » اذ كان لها معنيان، وكان للردحة معنيان ايضًا، و « للرداح » ثمانية معان مختلفة.

٢ - وحدد طريقة نطق الكلمة بقوله: ردح: كمنع. معنى ذلك ثلاث فتحات متتالية. وكأنه يحدد المضارع يردح. مفتوح العين.

٣ - جاءت غالبية المشتقات لهذه الكلمة على طريقة الكتابة الاملائية ولم يكن فيها ما يدعو الى النظر في طريقة هجائها. غير أن واحدة منها مثلًا هي « الردحى » قد اختلطت فيها طرائق

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزبادي مادة « ردح ».

الاملاء بالاعتبارات الصرفية فأصبح هجاؤها وكتابة آخرها « بالياء » مما يلتبس على بعض الناظرين في معناها ، لذلك جاءت صورتها الاملائية عونًا لهؤلاء.

٤ ـ لا يمكن اعتبار الروايات المختلفة للكلمة صورة من التطور الصرفي لشكل الكلمة Etymologie لأنها تحتاج إلى دقة علمية ووضوح وشمولية للإقرار بعرف التطور وهو أمر تفتقر إليه معاجمنا العربية كما تفتقر الى دراسة التطور الدلالي للكلمة من عصر الى آخر. هاتان الناحيتان من « وجهة النظر التاريخية » تستحقان عناية المجامع اللغوية والهيئات والأفراد لما يكمن وراءهما من فائدة كبيرة لتطور المعجم العربي.

والناظر في اللغة التي تستعملها المعاجم العربية والطريقة المتبعة لشرح الألفاظ ، يحس بالحاجة الى جهد يبذل لدراسة هذه اللغة حتى يتم الانتفاع بها إلى أقصى حد.

لذلك نحاول أن نضيف هذا الرأي في الوسائل التي يجب تنفيذها لتفسير المعاني في المعجم الى ما أشرنا إليه من قبل ، وأملنا عظيم في أن تأتي دراسات متخصصة تبين بدقة ما نحاول تلمس خطوطه العامة.

يمكن أن نقسم هذه الوسائل الى خمسة اقسام:

١ ـ التفسير بالترجمة: ولا نعني به النقل من لغة الى أخرى ، بل تفسير الكلمة بكلمة وذلك بأن توضع في تعريف الكلمة كلمة أخرى. مثلًا: « أعجم الكتاب وعجّمه: نقطه... الأعجم

الأخرس... استعجم الرجل: سكت » فنرى أن المعجم قد أظهر أن الكلمتان مترادفتان. أما وجود كلمة أخرى مع المادة التي يفسرها، فتلك إضافة ترمي الى توضيح المعنى.

ثم تفسير الكلمة بأكثر من كلمة: ويكون تفسير الكلمة بعبارة وليس بكلمة واحدة. فقد جاء في لسان العرب في مادة « عرب ». « وعرّبه: علّمه العربية... وعرُب لسانه بالضم، عروبة أي صار عربيًا... ويكون التعرب أن يرجع الى البادية بعد أن كان مقيمًا في الحضر ». ونلاحظ أن هذه العبارات ليست إلا شرحًا للفظ واحد بألفاظ أخرى من اللغة نفسها.

وتفسير الكلمة بالترجمة من لغة الى أخرى: على الرغم من أن المعاجم التي نتحدث عنها هي أحادية اللغة، فإن هذه المعاجم تورد ألفاظًا من غير لغة لتشرح الكلمة العربية أو لتذكر اصلها.

وذلك يوضح ما هو معروف من اتصال العربية بلغات أخرى في تأثر وتأثير. واللغة الفارسية هي اكثر اللغات التي اتصلت العربية بها واخذت منها غير لفظ والى العبرانية واليونانية وغيرهما أشارت أيضاً تلك المعاجم.

٢ ـ التفسير بالمصاحبة: هو تحديد للكلمات المستعملة في تركيب ما دون اعتبار للنحو أو لغير قاعدة لغوية معروفة. وقد أحس الجاحظ بهذا النوع من التفريق في اللغة العربية بين كلمات بالذات تصحب أخرى من دون غيرها مما قد يكون بمعناها فقال: « وقد يستخف الناس ألفاظًا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها. ألا

ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام. والعامة واكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث، ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الابصار لم يقل الأسماع، واذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين. ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعًا. والجاري على أفواه العامة غير ذلك لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال. وقد زعم بعض القراء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج»[1]...

ويتابع الجاحظ عن مسألة التفسير بالمصاحبة قوله: «وفي القرآن معانٍ لا تكاد تفترق، مثل الصلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار، والرغبة والرهبة، والمهاجرين والأنصار، والجن والانس[2]»؟.

فقد دلّ النص على حس لغوي بالغ الدقة عند الجاحظ؛ فإذا نظرنا في الألفاظ القرآنية التي ذكرها وجدنا أن ملاحظاته صحيحة ودقيقة.

فالجوع لا يذكر إلا في موضع العقاب... وقد ورد لفظ الجوع

---

(١) البيان والتبيين ج ١/٢٠ - ٢١.

(٢) البيان والتبيين ج ١/٢٠ - ٢١.

في القرآن الكريم أربع مرات، في ثلاثة منها تصاحب الخوف. وفي الرابعة صاحبت ضريع[1]. أما السغب فقد ورد في القرآن الكريم منها مسغبة[2].

ومصاحبة «مسغبة» لعبارة «ذا مقربة» توضح أن المعنى مختلف تمامًا وتؤكد أن ملاحظة الجاحظ في المقارنة بين «الجوع والسغب» هي دقيقة وصحيحة. حقًا ان «الابصار» لا تصاحب الاسماع في القرآن الكريم كما أن «الأرضين» بصيغة الجمع لم ترد أيضًا في القرآن. أما ما يشير إليه الجاحظ من زعم بعض القراء «أنه لم يجد ذكر لفظ «النكاح» في القرآن إلا في موضع التزويج»، فهو زعم صحيح تؤيده الآيات. ولو أردنا وضع عبارة الجاحظ الأخيرة: «وفي القرآن معانٍ... والجن والإنس» في أسلوب يتفق مع ما ندعو إليه وما نلمسه في المعاجم على طريقتها الخاصة من اتخاذ المصاحبة نوعًا يكمل غيره من وسائل تفسير المعنى، لوجدنا أن في القرآن ألفاظًا لا تكاد تفترق عن بعضها مثل الصلاة والزكاة... ولو أن المعاجم التفتت الى هذه الناحية لأطلعتنا على كثير مما يساعدنا على دقة الفهم والتعبير[3].

٣ - التفسير بالمغايرة: هو أن يشرح معنى الكلمة بذكر كلمة

---

(١) سورة الغاشية الآيتان ٦ - ٧ ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع. لا يسمن ولا يغني من جوع﴾.

(٢) سورة البلد الآيتان ١٤ - ١٥ : ﴿أو اطعام في يوم ذي مسغبة، يتيمًا مقربة﴾.

(٣) ابو الفرج، محمد. المعاجم اللغوية. ص١١٥.

أخرى تغايرها في المعنى فيتضح الضد بالضد[1]. وتكون هذه المغايرة بألفاظ ثلاثة هي: النقيض والضد والخلاف. ففي النقيض مثلًا: الحب: نقيض البغض، العلم: نقيض الجهل...

وفي الضد مثلًا: العقل ضد الحجر، والنهى ضد الحمق، والنور ضد الظلمة.

وفي الخلاف مثلًا: في مادة عرب العُرْبُ والعَرَبُ: جيل من الناس معروف، خلاف العجم، وفيها الابل العراب والخيل العراب، خلاف البخاتي والراذين وفي مادة ظلم: والظُلْمة والظُلُمة: ذهاب النور وهي خلافه. وتكون ايضًا المغايرة الناقصة، فإما أن تكون في المعنى، أو في الصيغة أو فيهما معاً أو لا تكون في الأصل. والمغايرة بالمجاز وهو نوع يعتمد على تبيان الحقيقة من المجاز في استعمال المادة المعجمية.

كل ذلك يجعلنا نقترب من الأصول اللغوية المقترحة والتي نهدف الى رؤيتها في معاجمنا.

٤ ـ التفسير بالسياق: ونقصد بالسياق هنا ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى. لقد وضح أصحاب المعاجم العربية هذا النوع بما اختاروه من نصوص ذكرت فيها الكلمة؛ وأول مصادر النصوص، القرآن الكريم ومنه في مادة عرب في اللسان عند حديثه عن الأعراب وقول الله عز وجل **﴿قالت الأعراب آمَنَّا قل**

---

(١) انظر بحثًا بهذا العنوان وضعه وينريش Weinreich في كتاب Problems in Lexicography المعضلات في صناعة المعاجم (ص ٣١).

لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾[1] .

فهؤلاء قوم من بوادي العرب، قدموا على النبي في المدينة طمعًا في الصدقات لا رغبة في الاسلام فسماهم الله تعالى الأعراب[2]، ومثلهم الذين ذكرهم الله في سورة التوبة، فقال: ﴿**الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا**﴾[3] .

والمصدر الثاني هو الشعر إذ يكاد لا يخلو اي معجم من الاستشهاد الشعري وفي ذلك امثلة كثيرة نورد ما جاء في « اللسان » تفسيرًا للتعَرُّب قول الشاعر:

تَعَرّب آبـائـي فهلاَّ وقـاهُـمُ   من المَوتِ، رَمْلا عالِج وَزَوْرَدِ

يقول: أقام آبائي في البادية ولم يحضروا القرى.

وفيه: أعرَب الرجل: ملَك خيلًا عِرابًا أو اكتسبها فهو معرب، قال الجعدي:

« ويَصْهَلُ في مِثْلِ جَوْفِ الطَّوِيِّ   صَهيـلًا تَبَيَّـنَ للمُعْـرِبِ »

يقول: « إذا سمع صهيله من له خيل عراب، عرف أنه عربيّ » .

والتفسير بالسياق يتخطى حدود اللغة وحدها ليشمل السياق الاجتماعي وعلاقة اللغة بالمجتمع وفي ذلك امثلة كثيرة.

---

(١) سورة الحجرات آية ١٤ .

(٢) ابو الفرج محمد، المعاجم اللغوية. ص١١٦ .

(٣) سورة التوبة آية ٩٧ .

أما السياق السببي فهو ما يرد في المعجم من تعليل لاستعمال الصيغة اللغوية على ما هي عليه. ففي مادة عرب جاء في لسان العرب: «واختلف الناس في العرب لم سموا عربًا فقال بعضهم: أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب يَعْرِبُ بن قحطان. وهو أبو اليمن كلهم، وهم العرب العاربة، ونشأ اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام، معهم فتكلم بلسانهم فهو وأولاده العرب المستعربة، وقيل إن أولاد اسماعيل نشأوا بعربة، وهي من تهامة فنسبوا الى بلدهم. وكل من سكن بلاد العرب وجزيرتها ونطق بلسان أهلها فهم عرب يمنهم ومعدهم. قال الأزهري: والأقرب عندي أنهم سموا عربًا باسم بلدهم العربات»[١].

وفي مادة برح تفسير لمعنى البارح «البارح: ما مرّ من الطير والوحش من يمينك الى يسارك، والعرب تتطير به لأنه يمكنك أن ترميه حتى تنحرف، والسانح ما مر بك من جهة يسارك الى يمينك، والعرب تتيمن به لأنه امكن للرمي والصيد. وفي المثل: من لي بالسانح بعد البارح؟ يضرب للرجل الذي يسيء الى الرجل، فيقال له إنه سوف يحسن إليك فيضرب هذا المثل، وأصل ذلك أن رجلًا مرت به ظباء بارحة، فقيل له: سوف تسنح لك فقال من لي بالسانح بعد البارح»؟[٢]

ويلاحظ لمن تتبع هذه المواد في لسان العرب أنه يحصل على معلومات دقيقة عن الحياة اليومية عند العرب أو يستطيع ان يرسم

(١) اللسان: مادة عرب.

(٢) اللسان: مادة برح.

صورة واضحة عن الحياة الاجتماعية البدوية. وفي ذلك تفسير بالسياق السببي الذي نقصده.

والدعوة الى توضيح بعض كلمات المعجم بالرسم، هي دعوة حديثة أخذت بها المعاجم الاوروبية، حتى اننا لنجد في اللغة الالمانية ما يجعل الصورة اساسًا. والصورة ترسم بدقة بالغة، فيعطى كل جزءٍ منها رقم وتذكر بعد ذلك الالفاظ كأنها هوامش.

غير اننا في اللغة العربية لم نصل بعد الى هذا الحد، وللأمانة نقول إن معجمين يستعملان الرسم للمساعدة على تفسير اللفظة هما: المنجد للآب لويس معلوف والمعجم الوسيط الذي الفته لجنة من المجمع اللغوي في القاهرة.

ومما لا شك فيه أن الرسم يساعد القارىء على تصور معنى الكلمة بدقة. «وما المعجم إلا أداة بحث، ومرجع سهل المأخذ، فينبغي أن يكون واضحًا، دقيقًا، مصوّرًا ما أمكن، محكم التبويب»[1].

وبعد، فقد رأينا كيف توقعنا للمعجم ان يحدد طريقة النطق والتهجئة، والمبنى الصرفي وضرورة ارتباط شرح المعنى المعجمي بتحديد ضمائم الكلمة وسوق شواهدها بأهمية ايراد بعض الاشارات النحوية، تلك كانت الرؤية، ويبقى كله في حدود التمني إن لم نصل بمعجمنا الى المرتبة الرائدة بعيدًا عن اي عمل سريع يبغي المرء منه حفنة قروش وتجارة رخيصة. وحسبي انني احاول مع

(١) تصدير المعجم الوسيط: ص ٥.

غيري ممن يدعون الى ايقاظ هذه الفكرة ونفخ الرماد المتراكم فوق جمرها لتشتعل وتحرق يباس اللغة. ثم تتفتق، بعد الحريق، براعم الكلمة فيحتضنها صدر المعجم الجديد.

أما في كل ما تمنيت وشئت فالمعرفة هي قصدي والله مدبري.

د. يوسف. م. عيد

١ ـ مدخل: حالة اللغة في الاندلس قبل بدء التأليف المعجمي

بعد أن اختلط العرب بـالإسبـان، ظهـر نشءٌ مـولّـد بسبـب التزاوج، ثم توهمنا بأن اللغة العربية تضعضعت أمام قوة اللغات العجمية والعامية، إذ اصبحـت الأنـدلس مـزيجًا مـن الشعـوب: الايبيريين، السلتيين، اللاتينيّين، واليـونـانيين مـن العنصر الأوروبي، والقرطاجيين والفينيقيين واليهـود مـن العنصر الآسيـوي، والفنـدال والقوط وهم شعوب الطبقة السائدة عندما دخلها العرب والبربر. كما وفدت فيما بعد عناصر بشرية متعددة اهمها العنصر الصقلبي.

على الرغم من هذا الامتزاج الغريب، استطاعت اللغة العربية أن تشق لها طريقًا واسعًا وأن تقوى على المجموعات الأخرى. ولسنا هنا في معرض البحث في تاريخ اللغة في الأندلس، فذلك انما يمثل دراسة مستقلة، أما في هذا البحث فقد قصرنا الجهد على المعجمات التي حافظت على هذه اللغة وكانت لها سياجًا يقيها شر الملحنين.

لم تنهزم الفصحى اذًا، أمام المنافسة القوية، ولا ريب في أن للناحية السياسية والدينية أثرهما في احتفاظها بقوتها.

ظهرت هذه العناية البالغة في اسلوب التعليم الذي اتبعه الاندلسيون للمبتدئين، وهذا ما شهد به ابن خلدون:

فهو يحدثنا عن أن الاندلسيين يجعلون القرآن أصلًا في التعليم ويخلطون ذلك بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط: «الى أن يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما»[١].

ويعلل ابن خلدون هذه الملكة باعتماد الاندلسيين على حفظ الأصول: «لأن أهل اللسان العجمي انما هم طارئون عليهم وليست عجمتهم أصلًا للغة في الأندلس»[٢]. ولو اقتصر الأمر على هذه الروح في الحفاظ على لغة الدين والحكم لكان هذا النشاط وحده عاملًا قويًا على ترسيخ اللغة في الاندلس. ولكن هناك عوامل أخرى لا تقل أهمية عن هذا النشاط منها:

أ ـ هجرة الاندلسيين للأخذ عن علماء اللغة في الشرق وسعيهم الى نهل الأصول من منابعها.

ب ـ هجرة بعض المشارقة من علماء اللغة الى الاندلس، يضيف الى جهود اخوانهم الاندلسيين تعبًا مهمًا وجديدًا. وفي هذا السياق لا نستثني ايضًا هجرة الكتب اللغوية المشرقية الى الأندلس.

تآزرت هذه العوامل جميعًا على تطوير الحياة الثقافية بعامة واللغوية بخاصة، وكانت عاملًا قويًا حافزًا على التأليف اللغوي

(١) المقدمة ٤ :١٢٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ١٢٧٨.

والمعجمي على يد طبقة من النحويين والمؤدبين.

أ ـ رحلة الأندلسيين الى الشرق

لم يقتصر تحصيل هؤلاء المؤدبين على تنقّلهم في المدن الأندلسية، بل سعوا للقاء علماء الشرق المشهورين. وما إن حلّ القرن الثالث حتى غدت رحلات الأندلسيين هدفًا أو فريضة ثقافية، فلقي بعضهم مشاهير اللغويين في البصرة والكوفة، امثال: الأصمعي والسجستاني والكسائي، وتوغل بعضهم فلقي الأعراب وأخذ اللغة عنهم مباشرة. وهكذا نرى أن حملة النحو واللغة في الأندلس كانوا، غالبًا، تلامذة المشارقة فعمّت تعاليم المدرستين النحويتين، مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة واصبح كتاب سيبويه غاية في تحصيل هذا العلم.

ب ـ رحلة المشارقة الى الاندلس:

كانت الاندلس والمشرق أشبه بأرض واحدة يسير فيها «النمل» ذهابًا وايابًا، علماء يضيق بهم الشرق من الفقر فيرحلون الى الأندلس، وعلماء من الاندلس يعوزهم العلم فيأتون الشرق. غير أن رحّالي الشرق أقل عددًا من نظرائهم الاندلسيين ومنهم ابو جعفر أحمد بن هارون البغدادي وقد جلب معه بعض كتب ابن قتيبة وبعض كتب عمرو بن بحر الجاحظ[1].

---

(١) طبقات الزبيدي: ٢٩٦.

على أن الفائدة العلمية التي كان ينقلها أمثال هؤلاء المهاجرين المشارقة لا توازي ما كان يجيء به الأندلسيون وذلك لقلة عددهم كما ذكرنا، ولأنّ هدفهم لم يكن علميًا في الغالب.

فالأثر الذي أحدثه المشارقة قبل ورود «القالي» يعدّ قبس نور ضئيل في الحياة العلمية في الأندلس.

أما الكتب التي سافرت مع هؤلاء المهاجرين فقد عوّضت عمّا فاتهم من وجود العلماء أنفسهم. وذكر بعض الرواة:

«ان وهب بن نافع أخذ كتب ابي عبيد عن علي بن ثابت وابي جعفر محمد بن وهب المسعري وهو أول من أدخل غير كتاب للأصمعي والكسائي والمازني وابن ولاد»[1].

واهتم الاندلسيون الراحلون بكتاب العين للخليل. فقيل إن قاسم بن ثابت وأباه أول من أدخله الى الأندلس[2]. وفي هذا المجال رأى البعض أن كتاب سيبويه وكتاب العين وكتاب الغريب المصنف لأبي عبيد وكتاب معاني القرآن لابن قتيبة، نالت قبولًا اكثر من الكتب الأخرى. وعلى الرغم من ذلك بقي النشاط التأليفي في هذه الحقبة ضعيفًا محدودًا غلب عليه الجانب الشفوي. وتسرب الخطأ الى الكتابة. وقصة ابن فطيس الوزير الذي كتب الجخطب بالطاء في رسالة وأنكر عليه الزبيدي ذلك، فلم يصغ

---

(١) تاريخ ابن الفرضي: ٢ - ١٦٠.
(٢) المصدر نفسه: ١ :٤٠٣.

إليه، ليست إلا نموذجًا من هذا الخطأ، الذي شاع[1]. وأشار الزبيدي أيضًا الى أن هذا اللون من اللحن، ضمَّنه الشعراء أشعارهم واستعمله غير كاتب[2]. من هنا بدأت الحاجة تفرض وجود المعجمات التي ستأتي لاحقًا لتبرىء الداء.

لكن إذا تلمسنا النشاط في التأليف وجدنا ثمرة حفزت عليها مجالس التدريس من جهة والاحتذاء بالكتب المشرقية من ناحية أخرى.

من هذه المؤلفات:

١ ـ الدلائل، لقاسم بن ثابت. (٣٠٢/٩١٥).

رحل الى المشرق مع ابيه وعني بجمع الحديث واللغة[3]. وبلغ من جودته أن نال عليه ثناء العلماء. وروى الخربيدي عن القالي انه قال: «لم يؤلف بالأندلس كتاب أكمل من كتاب ثابت في شرح الحديث...»[4].

٢ ـ لم تذكر المصادر شيئًا من المؤلفات الباقية بل أوردت اسماء المؤلفين فورد ذكر اسمائهم للمزيد من إنارة هذا الجانب الذي يحتاج الى دراسات معمّقة في تاريخ اللغة وسيرورتها في الأندلس. ونحن لا نبغي من هذا العرض إلا استعراض ما كانت عليه الحركة

---

(١) لحن العوام: ٨.

(٢) المصدر نفسه: ٧.

(٣) طبقات الزبيدي: ٣٠٩.

(٤) المصدر نفسه: ٣٠٩.

التأليفية اللغوية قبل ولادة المعجم.

من هؤلاء المؤلفين:

١ - جودي النحوي (١٩٨/٨١٤) وله تأليف في النحو[١].

٢ - ابن ابي غزالة، له كتاب ألفه في العربية[٢].

٣ - خصيب الكلبي، وله كتاب مصنّف في اللغة نحا فيه نحو مصنّف أبي عبيد[٣].

٤ - ابو بكر بن خاطب المكفوف، وله تأليف في النحو[٤].

٥ - ابو الحسن مفرج بن مالك النحوي الملقب بالبغل، وله كتاب في شرح كتاب الكسائي[٥].

هذه الخطوات التي شهدها القرن الثالث كانت تمهيداً للنشاط الكبير الذي عصفت رياحه بعد مدة، بألوان متنوعة في التأليف المعجمي. ويبقى سؤال يطرح في هذا المقام وهو: هل كان هذا النشاط اللغوي وقفاً على العرب وحدهم في الاندلس؟ وللاجابة عن ذلك نوضح أن التراجم التي وصلتنا لهؤلاء العلماء لم تشر الى انسابهم. لكن المصادر تدل على ان الموالي والبربر وبعض المولدين الاندلسيين شاركوا في هذا النشاط. فكان الأقشتين مولى الأمير

---

(١) طبقات الزبيدي: ٢٧٨.

(٢) المصدر نفسه: ٢٨١.

(٣) (٤) (٥) المصدر نفسه، ٢٩٧ - ٣٣٤.

منذر بن محمد[1]. وكان عافي ابن سعيد مولى بني سيد[2]. وقاسم بن أصبغ وثابت من أصل بربري[3].

وحلّ القرن الرابع الهجري (أيام عبدالرحمن الناصر (٣٠٠ - ٩١٣/٣٥٠ - ٩٦١) وابنه الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٩٦١/٣٦٦ - ٩٧٧) والحاجب المنصور ابن ابي عامر (١٠٠٢/٣٩٢) فبلغت الاندلس ذروة المجد السياسي والثقافي. وحاضرة قرطبة، ومعها الزاهرة والزهراء، اصبحت نموذجًا لأرقى ما بلغته المدينة يومئذ في شكلها المادي. هذا التطور الحضاري، فرض تميّزًا واضحًا في نواحي العلم ودخلت هذه العوامل الجديدة في صلب الحياة الثقافية. وفي هذا العصر تمّ إنشاء أكبر مكتبة عرفتها الأندلس.

كما بقيت الرحلات الى المشرق وهجرة الكتب ونشاط حلقات التدريس وحيوية التأليف، تفعل فعلها مع تنظيم وتشجيع رسميَّين.

فالحَكَمُ نفسه كان رجل علم وثقافة، أدّى جهودًا ثقافية جعلت عهده محطة بارزة في الحياة الفكرية. كما أهتمّ بجمع الكتب وشرائها وبنى اعظم مكتبة عرفتها العرب[4]، فكان ذلك حافزًا على

---

(١) الطبقات: ٣٠٥.

(٢) المصدر نفسه: ٣٣٤.

(٣) فهرسة ابن خير: ١٣٣.

(٤) يكفي ان نذكر في هذا المجال أنه أرسل الى ابي الفرج الاصبهاني من دفع له الف دينار، ليحصل على نسخة من كتاب الاغاني. ووظف له نساخًا في بغداد وغيرها لاستنساخ الكتب وارسالها إلى الأندلس. (انظر الحلة السيراء ١: ٢٠٢. نفح الطيب ١: ٣٦٢).

الإقتداء والتأليف بصورة عامة فأخذ السراة في قرطبة يقلدون الخليفة بإنشاء مكتبات خاصة. ومن أشهر هذه المكتبات مكتبة ابن فطيس[1].

وأنجز الزبيدي مؤلفه القيم في طبقات النحويين واللغويين في المشرق والأندلس وفيه من تراجم اللغويين والنحويين الاندلسيين ما اصبح معتمدًا لكل مهتم بهذا الشأن. ولعل كتاب لحن العوام إنما ألّف ايضًا طلبًا لرضى «الحكم» إن لم يكن قد الّف بطلب منه.

وما كان حرص الحكم على الزبيدي واكرامه لابي علي القالي، إلا ترسيخًا لاصول النهضة التأليفية حينئذ.

أما التدقيق العلمي في التأليفات فكان شغل الخليفة وهمه، وقد حرص على أن تكون المصادر في كل علم صحيحة لا مسرب فيها للخطأ. وحثّ الحكم العلماء على العمل واغراهم بالقدوم الى الأندلس. فوفد بتشجيع من الخليفة عدد من علماء المشرق ليساهموا في النهضة الثقافية، أبرز الوافدين الى الأندلس ابو علي القالي، الذي كان له الأثر البالغ في الحياة الثقافية هناك. سنقف عند ذلك بالتفصيل في الفصل الذي نتناول فيه معجم «البارع» وخصائصه.

أما المنصور فلم يكن مقصرًا عن سابقيه في التشجيع العلمي. وإن لم يكن متنوع الثقافة كالحكم غير أن تلك الثورة التي أعلنها على علوم الأوائل فأحرق كتب الفلسفة والمنطق اصابت تلك

---

(١) نفح الطيب ١ :٣٦٣.

النهضة المزهرة بنكسة أليمة. الى جانب ذلك كان المنصور يميل الى كتب المتعة والاسمار بعيدًا من الكتب العلمية الرصينة[1]، إلّا أن المجالس الأدبية لم تغب عن داره، بل كان يحاول أن يتفوق على الحكم في اقتناء الكتب وفي تصحيح نصوصها ولا سيما الأصول الدقيقة منها[2]. كما بقيت الرحلة الى المشرق والعودة بالكتب المروية من الدوافع المهمّة على تطوير النشاط التأليفي.

ومن أشهر الراحلين الى المشرق في هذه المرحلة ابو عبدالله محمد بن يحيى بن عبد السلام الرباحي الجياني الأصل[3].

حاول الرباحي أن يرفع مستوى الثقافة فاهتم بالنحو ودقائق اللغة اهتمامًا خاصًا مقتبسًا طرق أهل المشرق، وتدريسه كتاب سيبويه عن طريق المناظرة وفتح مجالًا لنوع جديد من طلب العلم لم يعهده الاندلسيون قبله. لذا قيل عن الرباحي إنه كان معلمًا مهمًا في تاريخ اللغة والنحو في الاندلس وحافزًا نشيطًا على اتساع حركة التأليف.

كل ذلك يؤكد ان الأندلس قد اصبحت قادرة على أن تخرج أعلامًا في النحو واللغة والتأليف، فبدأ المعجم العربي يخطو خطوات واضحة نحو الظهور لأن الحاجة أضحت ماسّة إليه. ولعل ورود القالي الى الأندلس قد ساعد في استغناء الطلاب عن الرحلة لأن الأندلسيين رأوا فيه خلاصة العلم المشرقي.

(١) انباه الرواة ٢، ٨٦. معجم الادباء ١١ : ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٢) مقالة ريبيرا. م٥ : ٧٣، نقلا عن نفح الطيب.

(٣) طبقات الزبيدي: ٣٣٥ - ٣٤٠.

وفي هذا القرن (الرابع الهجري) وضحت خطوط الاتجاه المعجمي واصبحنا نشير الى طبقة من المتخصيصين في هذا الشأن.

ولا يفوتنا أن نشير هنا، الى مدى ما حظي به كتاب سيبويه في الأندلس من اهتمام ودراسة. ولم يكن معتمد الدارسين وحسب، بل كان محوراً لغير مؤلف في كل العصور.

لقد ظهر إذاً مجال جديد في النشاط الثقافي لم يتيسّر له الظهور سابقاً، وتنوعت حركة التأليف فاشتملت على نواح عديدة في العلم لا يهمنا منها إلا المعاجم التي أبصرت النور على يد أئمة العلم والثقافة آنذاك واشهرهم[1]:

١ - الزبيدي: أهم مؤلفاته:

١ - الأبنية.

٢ - استدراك الغلط الواقع في كتاب العين.

٣ - الانتصار على من أخذ عليه في مختصر العين.

٤ - رسالة الانتصار للخليل فيما رد عليه من العين.

٥ - لحن العوام.

٦ - مختصر لحن العوام.

٧ - طبقات النحويين واللغويين.

---

(١) تاريخ ابن الفرضي: ٢: ٦٩، جذوة المقتبس: ٣٨١.

٨ ـ مختصر كتاب العين.

٩ ـ المستدرك من الزيادة في كتاب البارع لابي علي البغدادي.

١٠ـ الواضح في النحو.

٢ ـ القالي:

١١ ـ البارع في اللغة.

١٢ ـ المقصور والممدود.

١٣ ـ النوادر والأمالي.

١٤ ـ ذيل النوادر.

١٥ ـ فعلت وأفعلت.

١٦ ـ افعل من كذا.

١٧ ـ الإبل ونتاجها وجميع احوالها.

١٨ ـ حلي الانسان والخيل وشياتها.

١٩ ـ تفسير القصائد والمعلقات وتفسير إعرابها ومعانيها.

٢٠ ـ مقاتل الفرسان.

٢١ ـ فهرسة ابي علي البغدادي.

٣ ـ ابن القوطية:

٢٢ ـ الأفعال.

٢٣ ـ شرح صدر أدب الكتاب.

٢٤ ـ المقصور والممدود.

٤ ـ سعيد المعافري:

٢٥ ـ بسط لكتاب الأفعال الذي ألفه ابن القوطية.

٥ ـ عبد الملك بن طريف:

٢٦ ـ حسن في الأفعال.

٦ ـ صاعد:

٢٧ ـ الفصوص.

٧ ـ سعيد بن القزاز:

٢٨ ـ كتاب في الرد على صاعد البغدادي في مناكير كتابه في النوادر والغريب المسمى بالفصوص.

٨ ـ ابو القاسم بن العريف:

٢٩ ـ كتاب يشتمل على مسائل في النحو اعترض فيها على ابي جعفر بن النحاس.

٣٠ ـ رسالة في اعراب قولهم: « إن الضارب الشاتم والده كان زيدًا »، يستقصي فيها ثمانماية ونيفا وعشرين وجهًا.

٣١ ـ شرح الجمل للزجاجي:

٩ ـ أحمد ابن اليسع:

٣٢ ـ له تأليف في اللغة رآه ابن الآبار، ولكنه لم يذكر اسمه.

١٠ ـ عبدالله بن حسين ابن الغربالي: ٣٣ ـ في الأنواء:

١١ ـ دريود (عبدالله بن سليمان المشهور بدريود):

٣٤ ـ له كتاب في العربية.

١٢ ـ محمد بن أبان بن سيد:

٣٥ ـ كتاب العالم نحو مائة مجلد مرتب على الأجناس بدأ بالفلك وختم بالذرة.

٣٦ ـ كتاب العالم والمتعلم مبني على المسألة والجواب.

٣٧ ـ شرح كتاب الأخفش.

١٣ ـ عبيدالله بن فرج الطوطالقي:

٣٨ ـ كتاب اختلاف لغات العرب.

١٤ ـ ابن الافليلي (ـ ١٠٤٩/٤٤١)

٣٩ ـ شرح ديوان المتنبي.

١٥ ـ الحسن بن محمد بن عليم البطليوسي (؟):

٤٠ ـ شرح كتاب أدب الكتاب لابن قتيبة.

١٦ الحسن بن علي بن محمد الطائي المرسي (ـ ١١٠٥/٤٩٨).

٤١ ـ المقنع في شرح كتاب ابن جني.

١٧ - سعيد بن عيسى الأصغر (- ١٠٦٨/٤٦٠):

٤٢ - شرح كتاب الجمل للزجاجي.

١٨ - ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز البكري (- ١٠٩٤/٤٨٧)

٤٣ - اللآلي في شرح الأمالي.

٤٤ - فصل المقال في شرح كتاب الامثال.

٤٥ - التنبيه على أوهام ابي علي في أماليه.

٤٦ - صلة المفصول في شرح ابيات الغريب المصنف لابي عبيد.

٤٧ - اشتقاق الاسماء.

٤٨ - شفاء عليل العربية.

١٩ - عبدالله بن محمد بن السيد (- /١٠٤٨ - ١١٢٧):

٤٩ - شرح سقط الزند.

٥٠ - الاقتضاب في شرح ادب الكتاب.

٥١ - اصلاح الخلل الواقع في الجمل.

٥٢ - الحلل في شرح ابيات الجمل.

٥٣ - شرح ديوان الشعراء الستة.

٥٤ - شرح ديوان المتنبي.

٥٥ - المسائل المنثورة في النحو.

٥٦ ـ كتاب في الحروف الخمسة: السين والصاد والضاد والظاء والدال، جمع فيه كل غريب.

٥٧ ـ المثلث في اللغة.

٥٨ ـ المسائل والاجوبة.

٥٩ ـ الاسم والمسمى.

٦٠ ـ ابيات المعاني.

٦١ ـ التنبيه على الاسباب الموجبة لاختلاف الامة.

٦٢ ـ التذكرة الأدبية.

٦٣ ـ رد ابن السيد على اعتراضات ابن المعربي عليه في شرح شعر المعرّي.

٢٠ ـ ابن سيده

٦٤ ـ الانيق في شرح الحماسة.

٦٥ ـ شرح ديوان المتنبي.

٦٦ ـ المحكم في اللغة.

٦٧ ـ المخصص في اللغة.

٦٨ ـ الوافي في أحكام القوافي.

٦٩ ـ شرح ابيات الجمل للزجاجي.

٧٠ ـ أرجوزة ما اسمك يا أخا العرب.

٢١ ـ احمد بن محمد المرسي (؟ ـ ١٠٦١/٤٦٠)

٧١ ـ شرح الغريب المصنف لأبي عبيد.

٧٢ ـ شرح اصلاح المنطق لابن السكيت

٢٢ ـ اسحق بن الحسن الزيات. (؟ ـ ١٠٥٦/٤٨٨).

٧٣ ـ شرح كتاب الجمل للزجاجي.

٧٤ ـ كتاب في المبني والمعرب.

٢٣ ـ خلف بن فتح المعروف بابن ابي الموتى (؟ ـ ١٠٤٢/٤٣٣)

٧٥ ـ كتاب الناهج في شرح ما أشكل من الجمل للزجاجي.

٢٤ ـ ابن التياني، تمام بن غالب (١٠٤٥/٣٤٦)

٧٦ ـ تلقيح العين في اللغة.

٢٥ ـ يوسف بن سليمان الشنتمري المعروف بالاعلم (١٠٨٣/٤٧٦)

٧٧ ـ شرح الاشعار الستة الجاهلية.

٧٨ ـ شرح اشعار الحماسة.

٧٩ ـ شرح ابيات كتاب سيبويه، وقد سماه: تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب.

٨٠ ـ النكت في كتاب سيبويه.

٨١ ـ المخترع في النحو.

٨٢ ـ المسألة الرشيدة.

٨٣ ـ جزء فيه الفرق بين المسهب والمسهب.

٨٤ ـ المسألة الزنبورية.

٨٥ ـ جزء فيه مختصر الانواء.

٨٦ ـ شرح ديوان زهير.

٨٧ ـ شرح ديوان علقمة الفحل.

٨٨ ـ شرح ديوان النابغة.

٨٩ ـ شرح ابيات الجمل.

٢٦ ـ ابو الفتوح ثابت الجرجاني:

٩٠ ـ شرح كتاب الحماسة.

٩١ ـ شرح جمل الزجاجي.

٢٧ ـ ابو بكر عاصم بن ايوب البلوي (؟ ـ ٤٩٤/١١٠٠)

٩٢ ـ شرح اشعار الحماسة.

٩٣ ـ شرح كتاب الاشعار الستة الجاهلية.

٩٤ ـ شرح ديوان امرىء القيس.

٩٥ ـ ابو علي الحسن بن علي النمري.

٩٦ - شرح كتاب معاني ابيات الحماسة*.

فهذه ستة وتسعون مؤلفا تمثل غير اتجاه في اللغة والنحو.

منها: السياق المعجمي: وقد مثله ما دار حول كتاب العين من مؤلفات وردود واستدراكات. ثم كتاب البارع وما دار من حوله، وكتاب العالم الذي يشبه ان يكون معجمًا بحسب الموضوعات.

وكتاب في لحن العوام وهو يلحق من غير ناحية بالتأليف المعجمي وشبهه في الأنواء. كل هذه المؤلفات، تدخل في ميدان التأليف المعجمي. أما البقية فإنها تشمل دراسات في اللغة والنحو واختصاصاتها. مع الإشارة الى أن الاتجاه المعجمي غالب عليها كما رأينا.

كل هذه الطرق والنواحي تبين الى اي حد كان التأليف في الاندلس إما متأثرًا بالتأليف المشرقي أو مستثارًا به.

بعد هذا العرض، تكوّن لدينا فكرة واضحة عن الحركة الثقافية بصورة عامة في القرون الأولى للهجرة وكيف تطورت حركة التأليف بصورة خاصة حتى باتت حاجة المعجم ملحّة في مختلف الميادين.

(*) لمن أراد الايضاح حول الاسماء والمؤلفات يرجع الى كتاب الحركة اللغوية في الاندلس؛ مطلق، البير: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ١٩٦٧.

أما في القرن الخامس الهجري فقد بدت الحياة الثقافية على علاقة مباشرة بالاوضاع السياسية إذ قامت عصور الدويلات والمناصرات والحروب الداخلية، فصبغت العصر بلون سياسي معتم وأثرت في سيرورة الحركة المعجمية آنذاك.

بعد وفاة المنصور، تولى ابنه عبد الملك المظفَّر الحجاجة (٣٩٢ - ١٠٠٢/٣٩٦ - ١٠٠٦) وبدأ وهج المجد السياسي بالخفتان حتى أتى ولد المظفّر عبدالرحمن شنجول فلم يرض بأن تكون السلطة في يده والخليفة هشام المؤيد ابن الحكم المستنصر لا حول له ولا قوة، بل أجبر المؤيد ان يكتب عهداً بالتنازل له عن الخلافة[١]. عند ذلك ثار محمد بن هشام في قرطبة، واشاع ان المؤيد قد مات واتخذ له جنداً من العامة. فأنشق الامويون على انفسهم وثار فريق آخر على المهدي بقيادة سليمان الذي لقب «بالمستعين» والتف البربر حول سليمان وتحالفوا مع شانجة بن غرسية واشتعلت الفتنة البربرية (٣٩٩ - ١٠٠٩/٤٠٢ - ١٠١٢) التي قضت على عمران قرطبة[٢] وعلى وحدة الاندلس، ثم قامت الدويلات واعلن ما يسمى في تاريخ الاندلس بعض ملوك الطوائف. ففي قرطبة بنو

(١) البيان المغرب. ج١. ٤٣ - ٤٥.

(٢) بلغ عدد دورها في أيام المنصور ١٣٠,٠٠٠ دار، ومن المساجد ٣٠٠٠ مسجد ومن الحمامات ٣٩١١ حمامًا ومن الفنادق والخانات ١٦٠٠ لسكن التجار والمسافرين ومن الحوانيت ٨٠٤٥٢ حانوتًا. فخرب أكثر ذلك العمران في الفتنة. راجع: فون شاك: الفن العربي في اسبانيا وصقلية ص: ٦١. دار المعارف - مصر. لا يمكن الشك في اتساع قرطبة على نحو مدهش، لكننا نعجب لهذه الأرقام المبالغ بها.

جهور[١] وفي اشبيلية بنو عبّاد[٢] وفي بطليوس بنو الافطس[٣] وفي طليطلة بنو ذي النون[٤] وفي سرقسطة بنو هود[٥] وفي غرناطة بنو زيري الصنهاجيون[٦] وفي اركش بنو خزرون[٧] وفي البونت بنو قاسم[٨]، وفي شلطيش وولبة

---

(١) مؤسس هذه الدولة هو الوزير ابو الحزم بن جهور، تولى الامر بعد فرار هشام ابن محمد الملقب بالمعتد بالله سنة (١٠٣١/٤٢٢) وعرفت حكومته في صحف التاريخ الاسلامي «بحكومة الجماعة» توفي (سنة ١٠٤٤/٤٣٥) وسقطت المدينة بايدي بني عباد (١٠٧٠/٤٦٢) عباس، احسان - تاريخ الادب الاندلسي، عصر الطوائف والمرابطين.

(٢) مؤسس هذه الدولة قاضي اشبيلية ابو القاسم بن عباد عام ١٠٢٣/٤١٤. تولى الأمر من بعده ابنه المعتضد بالله سنة ١٠٤٢/٤٣٣ ومات فتولى الامر من بعده ابن المعتمد ١٠٦٩/٤٦١ والذي استولى على قرطبة ١٠٧١/٤٦٣ وفي عهده سقطت الدولة العبادية على يدي يوسف بن تاشفين سنة ١٠٩١/٤٨٤. المرجع نفسه.

(٣) حكموا بطليوس نيفا وسبعين عاما، كان اول الملوك عبدالله بن محمد الملقب بالمنصور الذي استولى على الأمر سنة ١٠٢٢/٤١٣ وفي عهده سقطت بطليوس بأيدي المرابطين سنة ١٠٩٤/٤٨٨. المرجع نفسه.

(٤) مؤسس هذه الدولة اسماعيل بن ذي النون الظافر (٤٢٧ - ١٠٣٦/٤٣٥ - ١٠٤٣) وسقطت الدولة على يدي الفونسو السادس سنة ١٠٨٥/٤٧٨.

(٥) مؤسس هذه الدولة المنذر بن يحيى التجيبي (٤٠٨ - ١٠١٧/٤١٤ - ١٠٢٣) احتلها المرابطون سنة ١١١٠/٥٠٣. المرجع نفسه.

(٦) مؤسس هذه الدولة زاوي بن زيري (٤٠٣ - ١٠١٣/٤١٠ - ١٠١٩) استولى عليها المرابطون سنة ١٠٩٠/٤٨٣ في عهد عبدالله بن بلقين. المرجع نفسه.

(٧) مؤسس هذه الدولة محمد بن خزرون عماد الدولة (٤٠٢ - ١٠١١/٤٢٠ - ١٠٢٩) استولى عليها بنو عباد سنة (١٠٦٨/٤٦١) المرجع نفسه.

(٨) مؤسس هذه الدولة عبدالله بن قاسم (٤٠٠ - ١٠٠٩/٤٣١ - ١٠٣٩) استولى عليها المرابطون سنة ١١٠٢/٤٩٥) المرجع نفسه.

البكريون[1]. ويطول الأمر لو أردنا تعداد كل الدويلات بل اكتفينا بأشهرها. ومن جراء التنافس بينها فهي لا تفكر بمواجهة الفونسو السادس الذي كان يقبض الضرائب منها. وبعد، فإننا نستطيع أن نتلمس في هذا القرن ثلاث مراحل:

١ ـ المحاولات المتعددة لاستعادة الاندلس تحت الحكم الأموي الموحد.

٢ ـ المرحلة الثانية الاستقلالية التامة لكل دويلة وبخاصة الدويلات الكبيرة منها.

٣ ـ مرحلة ما بعد سقوط طليطلة لانها كانت تشكل مفتاح الاندلس.

تعمدنا الوقوف على هذه التفاصيل لما لها من أهمية بالغة في دور الحياة الثقافية في هذا القرن، والتي من نتائجها أن:

١ ـ قضت الفتنة البربرية على كثير من علماء قرطبة وتشريدهم في البلاد وخارجها.

٢ ـ اصبحت حياة العالم مهددة مرتبطة بالاحتماء في ظل الامراء.

٣ ـ قصرت مدة الاستقرار بحيث لم تسمح للأديب ان يشعر بالأمان.

---

(١) مؤسس هذه الدولة عبد العزيز البكري عز الدولة (٤١٧ ـ ١٠٢٦/٤٣٣ ـ ١٠٤١) استولى عليها المعتضد بن عباد. المرجع نفسه.

هذا الفوران السياسي، كان باعثًا لتنويع الطبقية في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية. وعلى الرغم من ذلك فقد برزت عوامل جديدة حفزت الحركة الثقافية على السير قدمًا نحو الافضل يؤازرها ذلك الخصب اللغوي الذي نما على يدي القالي وتلاميذه، والانقسامات السياسية أوجدت تعددًا في المراكز الثقافية. فبعد أن كانت قرطبة القطب الاساسي في اجتذاب العلماء اصبح ينافسها كثير من المدن؛ فالميل الادبي، كان الاغلب على بلاط اشبيلية وكان الميل العلمي اغلب على بلاطي بني ذي النون في طليطلة وبني هود في سرقسطة وكانت المباهاة بجمع اكبر عدد من العلماء المشهورين في مختلف العلوم، من فقه وحديث ولغة، ميزة لبلاط العامريين في دانية. وفيما كنا نرى المستنصر يتدخل في اقتراح الموضوع على العالم، نرى في هذا القرن الامراء ينهجون نهج المستنصر فيضعون حدودًا لمنهج التأليف[1]. وقد نرى العالم يطرز كتابه باسم أمير تقربا إليه كما فعل ابو عبيد البكري حين كتب «التنبيه على اوهام ابي علي في أماليه». وفي ظل مجاهد العامري وابنه اقبال الدولة قضى ابن سيده اكثر ايامه ووجد في دانية بيئة صالحة تمكنه من التفرغ للعلم والتأليف. وفي ميورقة، نشأت المناظرة

---

(١) يقول الاعلم في مقدمة كتابه الذي شرح فيه أبيات كتاب سيبويه: «هذا كتاب أو بتلخيصه وتهذيبه المعتضد بالله المنصور بفضل الله، ابو عمرو عبّاد ابن محمد ابن عباد، اطال الله بقاه، وأدام عزه وعلاه، عناية منه بالأدب وميلًا إليه... فانتهيت الى أمره العلي، وسلكت فيه منهاج مذهبه الرفيع السني. المصدر: كتاب سيبويه ج ١: ٣ ـ ٥.

بين ابن حزم وابن الوليد الباجي[١]. وفي طليطلة استقر سعيد بن عيسى بن الاصغر يعلم اللغة وهو مؤلف شرح كتاب الجمل[٢].

وكان من أثر الفتنة البربرية ان بيع ما كان في مكتبة الحكم من كتب ومحفوظات بأبخس الاثمان. وانتشرت تلك الكتب في مدن الاندلس المختلفة، وزاد اقبال الناس على القراءة بعد أن كانت فائدة هذه الكتب مقصورة على قرطبة. واندفع كثير من المثقفين إلى اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات في قرطبة ومنهم محمد بن يحيي الغافقي المعروف بابن الموصل (١٠٤٢/٤٣٣).

أما في اشبيلية فلعل اكبر اثنين من جمّاعي الكتب هما: الفقيه ابن حزم، والعالم ابو عبيد البكري[٣].

ولم تكن مدينة المرية تقل أهمية عن قرطبة. وقد نال زهير العامري وزير الفتى صيتاً وشهرة بجمع الكتب حتى اجتمع في مكتبته ما يربو على اربعمائة الف مجلد عدا الكراريس[٤]. وفي بطليوس عرف المظفَّر بن الافطس بأشهر من اقتنى مكتبة[٥]، ولم يكن حظ طليطلة أقل من حظ غيرها في العناية بالكتب فقد كان

---

(١) نفح الطيب ج ٢ : ٢٨٢.
(٢) الصلة: ٤٤٩ وعنه مطلق البير، الحركة اللغوية في الاندلس ص٢٦٣.
(٣) الذخيرة: ٢/١ : ١٥١ ...
(٤) مقالة ريبيرا : ٨٠.
(٥) البيان المغرب ٣ :٢٣٦.

اصحابها بنو ذي النون من الحريصين على جمعها[1].

وربما كان ابن سيده، اكبر عقلية اندلسية عملت في فن المعاجم، وهو ممن عني بعلوم المنطق عناية خاصة. ومما يزيد الموقف حاجة للمعجم، منح اللغة العامية الاندلسية مكانة ادبية. صحيح ان هذه اللغة كانت موجودة ـ بقدر او بآخر ـ إلا أنها في هذا القرن (الخامس) قد اتخذت من الزجل نَدًّا للشعر، واعترف الاندلسيون بهذه الازجال واستمعوا اليها وأجازوا ناظميها ولم تقتصر على الزجل وحده بل تدخلت في صميم بناء الموشح[2] ولا يعني «اللفظ» هنا لفظة واحدة بل استعمال قفل كامل يسمى «الخرجة».

واذا قارنا بين هذا العصر والعصر السابق وجدنا أن مظهر التأليف قد طما على مظهري التدريس والمناظرة.

وبعد أن تعددت المراكز العلمية كثر عدد المدرسين فأينعت ثمار العلم وقطفت.

أما من الدواعي الملحّة لولادة المعجم في الأندلس فكان انتشار اللهجات في الاوساط الشعبية وتفشي اللحن، لذلك رأينا من الأهمية بمكان أن نقف على بعض خصائص هذه اللهجات

---

(١) يقول ريبيرا: «دفعهم حبهم للكتب الى الاستيلاء عنوة على مكتبات خاصة فنهبوا مكتبة العروشي».

(٢) ابن بسّام في الذخيرة: فالوشاح يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز ويضع عليه الموشحة. الذخيرة ١/٢: ١.

الاندلسية ومن النواقص ان ندير لها ظهرًا في دراسة تعتمد العلمية منهجًا واسلوبًا، سيما وانها تسهم في دفع الامور نحو الهدف المنشود؛

من الظواهر اللغوية التي يمكن ان نوردها مثلًا:

أولًا: في الاصوات:

أ) في الاصوات الساكنة (Les Consonnes).

يقع هنا الابدال بين الاصوات الساكنة المتقاربة في مخارجها وصفاتها ـ عند عامة الاندلس ـ على النحو الآتي:

١ ـ الباء والميم: أبدلت الميم باء في مثل قولهم: إن لم يتحقق ذلك فانبضها (أي اللحية) وهي بالميم: من نمص الشعر اي نتفه[١]. ويبدو ان النون حدث فيها قلب ايضًا، فكانت تنطق ميمًا في هذا الموضع.

٢ ـ الميم والنون: أبدلت النون ميما في المثالين الآتيين: قولهم: حَلْزوم، والصواب: حَلَزون[٢]. وقولهم: خَمَّم، والصواب: خَمَّنَ[٣].

٣ ـ الظاء والذال: أبدلت الذال ظاء في قولهم: شظ الفرس، بالظاء، والصواب: شذ بالذال[٤]. كذلك: مِسْك أظفر بالظاء،

(١) الزبيدي، لحن العامة: ٥٨.

(٢) الزبيدي، لحن العامة: ١٩٤.

(٣) الزبيدي، لحن العامة: ١٤٨.

(٤) الزبيدي، لحن العامة: ٢٠١.

وهو أذفر بالذال[1].

٤ ـ الضاد والذال: أبدلت الذال ضادًا في قولهم: صوف موضّح[2] والصواب: موذّح.

٥ ـ الثاء والطاء: أبدلت الطاء تاء في قولهم: كُسْت للعود الذي يُتبخَّر به، والصواب: كُسط وقُسْط[3].

٦ ـ الطاء والدال: أبدلت الدال طاء في قولهم: جُخْطَب بدل: الجُخْدَب[4]. والطاء دالًا في قولهم لنوع من الحلوى: قُبَّيْد، والصواب: قُبَّيْط[5].

٧ ـ الذال والدال: أبدلت الذال دالا في قولهم: جَرَد[6]، والصواب: جَرَذ[7] وقولهم: تَدَعْدَعَ البناء. والصواب: تذعذع[8].

٨ ـ اللام والراء: ابدلت الراء لامًا في قولهم: قُسْطال. وصوابه: قُسْطار[9] وقولهم قَلَسطون، والصواب: قَرَسطون[10]. وقولهم

---

(١) الزبيدي، لحن العامة: ١٩٦.

(٢) الزبيدي، لحن العامة: ١٦٦.

(٣) الزبيدي، لحن العامة: ١١٦.

(٤) الزبيدي، لحن العامة: ٩١.

(٥) الزبيدي، لحن العامة: ١٣٧.

(٦) الزبيدي، لحن العامة: ١١٦.

(٧) ما يحدث في عرقوب الدابة من انتفاخ.

(٨) الزبيدي، لحن العامة: ١٥٤.

(٩) وقد اجاز «المنجد» الوجهين. وهو الغبار الساطع في الحرب أو كستنة الحصان. لحن العامة ص ١٠٠.

(١٠) لحن العامة. ص ١٠٠.

زُرزُول. وصوابه: زُرزُور[1]. ويبدلون اللام راء في قولهم: زَجَـرَت الدابة ولدها، والصواب: زَجَلَتَ[2].

٩ ـ اللام والنون: يبدلون النون لامًا، في قولهم: في الطعام زُوال، والصواب: زُؤان[3].

١٠ ـ السين والصاد: يبدلون الصاد سينًا في قولهم: سابُور المركَبْ. والصواب: صابور[4].

١١ ـ الزاي والصاد: يبدلون الصاد زايًا في قولهم: مَزْدغة بدل: مِصْدَغَة[5].

١٢ ـ السين والشين: يقلبون السين شينًا في قولهم: مَشْحذة للمسحَته، وشَذانِق للسَّوذانِق[6] (الصقر).

١٣ ـ القاف والكاف: يبدلون القاف كافًا في قولهم: حُكّ بدل: حُقّ[7].

وتَرْكُوة، بدل تَرْقُوة[8]، ويبدلون الكاف قافا في قولهم لخادم

---

(١) لحن العامة. ص ١٧٦.

(٢) لحن العامة. ص ١٦٤.

(٣) لحن العامة. ص ١٧٦.

(٤) لحن العامة. ص ١٩٥.

(٥) لحن العامة. ص ١٩٥.

(٦) لحن العامة. ص ١٣٣.

(٧) لحن العامة. ص ٩٧.

(٨) لحن العامة. ص ١٤٩.

الرحى: مَقَّاس والصواب: مكَّـاس[١]. وقـولهم: قَـبْ والصـواب: كُوب[٢] وقولهم: قَبَّار للنبت المعروف بالكَبَر[٣].

١٤ - الهمزة والعين: يبدلون الهمزة عينًا في قولهم: مفقوع العين، بدل: مفقوء[٤]. وابن المفقَّع اي المفقأ العين[٥]. ويبدلون العين همزة ويخففونها في قولهم: نطا بدل نَطْع[٦].

١٥ - الخاء والغين: يبدلون الغين خاءً في قولهم: خَرْز، أي غَرْز[٧].

١٦ - يتخلصون من الهمزة بالحذف أو بالتخفيف. كقولهم: بَزِيم بدل إبزيم[٨]، حَيْر، بدل: حائر[٩] ومِيضَة بدل ميضأة[١٠].

١٧ - ويتخلصون من الهمز في ألف التأنيث الممدودة ثم يضيفون الى الاسم تاء التأنيث، فيقولون: مِينَة[١١] وحَلْفة[١٢]،

---

(١) لحن العامة. ص ١٧٧.
(٢) لحن العامة. ص ١٨٩.
(٣) لحن العامة. ص ٧٤.
(٤) لحن العامة. ص ١٦٩.
(٥) لحن العامة. ص ٤٤.
(٦) لحن العامة. ص ٤٤.
(٧) لحن العامة. ص ١٤٤.
(٨) لحن العامة. ص ٥١.
(٩) لحن العامة. ص ١٤٠.
(١٠) لحن العامة. ص ١٨٠.
(١١) لحن العامة. ص ٥٤.
(١٢) لحن العامة. ص ٩٩.

وطَرْفة[١]. وحَلوة[٢]: في ميناء (أو مينا). وهم يتوهمون أن الألف، هنا، للتأنيث، وهي في اللغة لام الكلمة. وحلفاء وطرفاء وحلواء. كذلك يفعلون بألف التأنيث المقصورة، فيقولون: دِفْلة بدل دِفْلى: وهي نوع من الزهر[٣].

ب) في الاصوات اللينة (Les Voyelles)

من الخصائص البارزة للغة العربية في الاندلس:

١ - إطالة أصوات اللين، فتصبح الفتحة القصيرة ألف مد، والضمة القصيرة واو مد والكسرة القصيرة ياء مد. نورد على ذلك امثلة:

أ - في اطالة الفتحة قولهم: عَرْعار في عَرْعَر، وبَرْواق في بَرْوَق، وقَبّار في الكَبَر[٤]. وقولهم: قَادُوم في القَدُوم، وبكارة في بكْرة وكان اكثرهم ينطقونها: بَكرَة. وآذان في أذان، وآي في أي، وطِوال في طوَل، وعكار في عكر، وضارّة في ضَرَّة وقطاع (جمع قطعة) في قطع[٥].

ب - في إطالة الضمة قولهم: عُوش الطائر بدل عُشْ. ولُوبان بدل: لبان[٦] وقنفود في القنفد وكامون في كمون.

---

(١) لحن العامة. ص ٩٩.

(٢) لحن العامة. ص ١٤٨.

(٣) لحن العامة. ص ١٢٢.

(٤) لحن العامة: ٧٨ - ٧٣ - ٧٤.

(٥) لحن العامة: ١٢٣ - ١٩٢ - ٨٠.

(٦) ما أورده ابن هشام اللخمي في المدخل على كتاب الزبيدي: لحن العامة. ورقة ٦١.

جـ ـ في إطالة الكسرة قولهم: الطِّيراز في الطِّراز، والتيلاد في التِّلاد، والثيمار في الثمار والطيِّحال في الطِّحال، والإيكاف في الإكاف، وصَنيفة الثوب اي صنفته.

٢ ـ تحريك وسط الاسم الثلاثي المشكل بالسكون في حالة الوقف، بالفتحة إن كان على وزن فَعْل، مثل، أمْر، وقَصْر، ورَمْل، وسَمْن وبَقْل[١]. وكذلك يحركون عين ما كان على وزن فِعْل، مثل: ذكر وفِطرْ.

٣ ـ التخلص من صوت اللين المركب منه (أي) في مثل: الغَيْرة، والقَيْح، والمَيْتَة قد تطور الى الكسرة في مثل الغيرة والميتة، والى صوت الإمالة (e) في القيح[٢].

وصوت اللين المركب (au) (أو) في مثل: صَنَوْبَر، وَصَوْمَعة قد تطور الى الضمة الممالة فقالوا: صُنُوبر، وصُمعة. وفي هذه الكلمة الثانية تطور آخر هو تقصير صوت اللين (الضمة).

وقد تطور صوت اللين المركب ai (أى) الى الفتح (à) في مثل: نَيْفَق القميص فأصبح: نافق القميص[٣].

---

(١) لحن العامة: ١٨٥ ـ ٢٠٣: ذكر صاحب الجمانة (ص١٥) ان عامة تونس في القرن التاسع، يفتحون الميم من السمن.

(٢) لم يذكر الزبيدي حركة الامالة في القيح بل ذكر انها بالكسر ولعلها كانت تنطق بالامالة.

(٣) يبدو أن كلمة نيفق (بفتح النون) تطورت اولا الى الامالة فقلبت نيفق (بامالة النون) ثم تطورت ثانيا الى الفتح فقيل نافق لحن العامة ١٨٨ ـ ١٣٠.

٤ ـ إمالة الفتحة نحو الكسرة في مثل :خُبيِّز في خُبَّاز

٥ ـ الميل الى الانسجام بين اصوات اللين (Voyelles en Harmonie) ويمكن أن يرد ذلك الى تطور صيغة مفعلْ بكسر الميم وفتح العين، الى مفعل بفتحها تحقيقا للانسجام الصوتي، ومن أمثلة ذلك قولهم: مَقْود، وَمَنْجَم، وَمقْنَعة وَمَخَدَّة، وَمزْدَغة، ومَطْرَد. والصواب: كسر الميم في جميع الأمثلة.

ويمكن ان يرد الى ذلك ايضًا قولهم: مَنْكَب بدل: مِنْكب أو مَنْكِب ونـرجَسْ بـدل: نـرجِس، وقـولهم أخضر مشرب بـدل: مُشرب، ورجل مَقعد بدل مُقعَد[1].

ومن ذلك ايضًا قولهم: قُرنفُل، بدل: قَرنفُل. والسَّيكران بدل: السَّيكُران وخَيْزَران بدل: خيزُران، وبَسطام بدل: بسِطام[2].

ثانيًا: في الصيغ:

١ ـ «يقولون فيما كان من الافعال الثلاثية المعتلة العين مما لم يسم فاعله، بإلحاق الألف فيبنونه على أَفْعِل نحو: أبيع الثوب، وأقيم على الرجل، وأخيف، وأدير به، وأسير به، والصواب في هذا إسقاط الألف»[3].

٢ ـ «صيغة الاسم الآلة» مِفْعَل «تطورت عندهم الى مَفْعَل،

---

(١) لحن العامة. ١٨٨ ـ ١٦٢.
(٢) لحن العامة، ٩٤ ـ ١٤٢ ـ ١٢٩.
(٣) لحن العامة، ٢٠٣.

وقد ذكرنا امثلتها في الفقرة الخاصة بالانسجام الصوتي».

٣ ـ يخلطون في اسم الفاعل بين ما كان من الفعل الثلاثي وما كان من الرباعي، فيقولون: أنت مُعزِمٌ على كذا بدل عازم، وتاجر مُربِح ومُخْسِر بدل: رابح وخاسر، ومرد بدل: راد[١] وعكس ذلك قولهم: يا غايث المستغيثين، بدل: مغيث، ودابة طائقة بدل: مطيقة[٢].

٤ ـ حدثت الظاهرة السابقة في اسم المفعول ايضًا، فيقولون: هو مبطول اليد، وموسوع عليه. والصواب: مُبْطَل ومُوسَع[٣].

٥ ـ يخلطون بين صيغتي اسم الفاعل والمفعول في بعض الحالات، فيقولون: مذهول العقل، ومخمول، ويوم مهول والصواب: ذاهل، وخامل، وهائل[٤].

٦ ـ في لغتهم صيغة من صيغ الجمع لا توجد في العربية هي: أفعلة بفتح الهمزة والعين، فيقولون: أجَنَّة في جمع جنان (وهو اسم الجنة أو الحديقة عندهم)، كما يقولون: أقفزة جمع قفيز[٥].

وقد علق الزبيدي في الموضعين بقوله: إن «أفعلَة لا تكون من أبنية الجمع».

---

(١) ٩٠ ـ ١٧٧.
(٢) ٢٠٢ ـ ١٢١.
(٣) ١٧٧ ـ ١٨٦.
(٤) ٩٥ ـ ١١٣ ـ ١٧٦.
(٥) لحن العامة، ص١٣٢ ـ ١٦٨.

٧ - الجمع الذي على وزن فِعْلان أو فُعلان يفرقون بينه وبين مفرده بالتاء، فيقولون: ذِبَّان وذبَّانة، وصِئْبان وصئْبانة وأذْمان وأذْمانة، ومُصْران ومُصْرانة. فوجدت في لغتهم مفردات ليست في اللغة الفصحى. ومفرداتها على الترتيب: ذُبابة، وصُؤابة، وأذْماء، ومَصير[١].

ثالثًا: في دلالة الألفاظ:

تطورت دلالة الألفاظ العربية في الاندلس فنتج عن ذلك بعض المظاهر نستعرضها على النحو الآتي:

١ - **التخصيص**: إن بعض الألفاظ تكون عامة إلا أن أهل الأندلس قد استعملوها للتخصيص كقولهم: يقولون الوادي للنهر خصوصًا. والوادي كل بطن مطمئن من الأرض وربما استقر فيه الماء[٢] ويطلقون اسم الريحان على الآس خصوصًا. والريحان أعم، إذ يشمل كل نبت طيب الرائحة كالورد والنعناع[٣]...

ويقولون لضرب من سباع الطير: صقر. والصقر: نوع معين من الطيور الكواسر كالشواهين والبزاة[٤].

ويقولون بكرت إليك بمعنى غدوت خصوصًا، والبكور

---

(١) لحن العامة، ص٦٥ - ٥٦ - ١٦٨.
(٢) لحن العامة، ص٢٣٣.
(٣) لحن العامة، ص٢٣٤.
(٤) لحن العامة، ص٢٣٦.

التعجيل في جميع أوقات الليل والنهار[١].

ويقولون لثوب من الوشي: حلة. والحلة الإزار والرداء معًا[٢].

ويقصرون الإسكاف على الخَرّاز... وكل صانع عند العرب إسكاف[٣].

٢ ـ **التعميم**: وهو عكس الظاهرة السابقة. الفاظ تكون خاصة ويستعملونها للتعميم: كقولهم: الاستحمام على ما كان بالماء الحار أو البارد، والاستحمام خاص بالماء الحار[٤] ويعممون دلالة عجز عن الشيء، فيعبرون به وإن كان المرء يستطيع القيام به. والعجز خاص بحالة الضعف عن الشيء وعدم القدرة عليه. والصواب: في حالة الاستطاعة: استعمال كسِل[٥].

٣ ـ **التعبير**: عن اسم باسم آخر تدل عليه: يقولون للحزام: قلادة، والقلادة العقد الذي يوضع في العنق[٦]. ويقولون للدينار من الذهب: مثقال، والمثقال: زنة الشيء الذي يثقل به[٧] ويقولون للبيت المُحسَّن: بلاط. والبلاط الحجارة المفروشة[٨].

---

(١) لحن العامة، ص ٢٣٧.
(٢) لحن العامة، ص ١٣٦.
(٣) لحن العامة، ص ٢٣٠.
(٤) لحن العامة، ص ٣١ ـ ب.
(٥) لحن العامة، ص ٣٤ ـ أ.
(٦) لحن العامة، ص ٢١١.
(٧) لحن العامة، ص ٢١٦.
(٨) لحن العامة، ص ٢١٧.

ويقولون: اسطوانة البيت للذي يشرع منه الى الفناء، والاسطوانة: السارية[1].

وسنكتفي بهذا القدر من الامثال مع الاشارة إلى أن هناك امثلة كثيرة تستحق وقفة مستقلة خاصة بها. إلا أن ما قصدناه من هذا الاستعراض هو الحاجة الملحّة الى وجود معجم يلغي هذه الفوضى في الألفاظ والتعابير والمعاني. وهذا ما سنراه في هذه الوقفة السريعة قبل ان ننتقل إلى تفاصيل خصائص المعجم.

ترتيب الحروف في المعاجم:

إقتبس العرب من الأبجدية الفينيقية ترتيبها للحروف، ذلك الترتيب الذي ورثته عنها أيضًا جميع الأبجديات السامية الأخرى[2]، وكانوا يلحقون الأحرف العربية الزائدة بما يشبهها في رسمها من حروف تلك الأبجديات[3].

وكلمة (أبجدية) هي نسبة إلى لفظة «أبجد» أولى الكلمات الست التالية: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، وهي الكلمات التي جمعت فيها حروف الهجاء الفينيقية الإثنان والعشرون بترتيبها المأخوذ من تسلسل الحروف في الكلمات نفسها على الصورة

---

(١) لحن العامة، ص٢٢٣.

(٢) انظر: René Dussaud في كتابه: Les arabes en Syrie avant l'Islam ت: عبد الحميد الدواخلي ومحمد مصطفى زيادة. ص٥٥ القاهرة ١٩٥٩.

(٣) انظر جداول مختلف الابجديات في هذا الباب.

التالية : أ ب ج د ، هـ و ز ، ح ط ي ، ك ل م ن ، س ع ف ص ، ق ر ش ت[1].

أما الأحرف العربية الزائدة عن هذه، فهي الستة التالية: ث - خ - ذ - ض - ظ - غ. وقد سماها العرب « الروادف »[2].

على أن ترتيب حروف هذه الأبجدية شاع في الأندلس بشكل يختلف قليلًا عن ترتيبها عند أهل المشرق[3]. ومن أجل ايضاح أفضل رأينا أن نورد هذا الجدول الذي يضع الأمور في نصابها ويبيّن شيوع هذه الحروف في كل من المشرق والأندلس والبلدان العوبية الأخرى.

---

(١) إن اسماء حروف الابجدية الفينيقية كانت كما يلي: [ألف، بيت، جمل، دالت، هيت، واو، زين، حيط، طيت، يد، كف، لا مد، ميم، نون، سامخ، عين، في، صاد، قوف، روش، شين، تاو]. انظر دائرة المعارف للبستاني في مادة (أبجد) الطبعة الجديدة ١٩٥٨ بيروت.

(٢) الإجماع منعقد بين علماء العربية على أن أصل حروفها ثمانية وعشرون. انظر « الصاحبي » ص ٧١. على أن بعض العلماء جعل حروف العربية تسعة وعشرين معتبرين الهمزة حرفًا مستقلًا عن الألف. ومن هؤلاء الخليل والقالي. انظر صبح الأعشى ج ٣. ص ١١.

(٣) انظر صبح الأعشى ج٣ ص٢٢ - وانظر Encyclopédie de l'Islam مادة Abdjad باريس ١٩١٣. وانظر ايضًا مقدمة ابن خلدون والفصل الخاص بعلم « اسرار الحروف ».

أما ترتيب الحروف الذي شاع في الاندلس فهو التالي: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ، وترتيب المشارقة اقدم وأصح لأنه يتفق في الكلمات الست الأولى مع الأبجدية الفينيقية، كما أنه يجمع « الروادف العربية » في كلمتين مستقلتين عن الكلمات الاصلية خلافًا للترتيب الأندلسي الذي يخلط بينهما.

حروف المعجم وترتيبها

العدد	الأبجدية عند الشعوب السامية	الأبجدية السامية بعد إلحاق الزوائد العربية بأشباهها	أبجديّة حُروف الهجاء العَربيّة: عند المشارقة	عند المغاربة	قيمة الحرف في حساب الجمل	حروف المعجم كما رتبها نصر بن عاصم	ترتيبُ الحُروفِ بحَسبِ مخارجها: عند الخليل	عند سيبويه	عند القالي	الحروف كما شاع ترتيبها في الأندلس
١	ا	ا	ا	ا	١	أ	ع	ء/ا	هـ	ا
٢	ب	ب	ب	ب	٢	ب	ح	هـ	ح	ب
٣	ج	ج	ج	ج	٣	ت	هـ	ع	ع	ت
٤	د	د	د	د	٤	ث	خ	ح	خ	ث
٥	هـ	ذ	هـ	هـ	٥	ج	غ	غ	غ	ج
٦	و	هـ	و	و	٦	ح	ق	خ	ق	ح
٧	ز	و	ز	ز	٧	خ	ك	ق	ك	خ
٨	ح	ز	ح	ح	٨	د	ج	ك	ض	د
٩	ط	ح	ط	ط	٩	ذ	ش	ج	ج	ذ
١٠	ي	خ	ي	ي	١٠	ر	ض	ش	ش	ر
١١	ك	ط	ك	ك	٢٠	ز	ص	ي	ل	ز
١٢	ل	ظ	ل	ل	٣٠	س	س	ض	ر	س
١٣	م	ي	م	م	٤٠	ش	ز	ل	ن	ش
١٤	ن	ك	ن	ن	٥٠	ص	ط	ن	ط	ص
١٥	س	ل	س	ص	٦٠	ض	ت	ر	د	ض
١٦	ع	م	ع	ع	٧٠	ط	د	ط	ت	ط
١٧	ف	ن	ف	ف	٨٠	ظ	ظ	د	ص	ظ
١٨	ص	س	ص	ض	٩٠	ع	ذ	ت	ز	ع
١٩	ق	ع	ق	ق	١٠٠	غ	ث	ز	س	غ
٢٠	ر	غ	ر	ر	٢٠٠	ف	ر	س	ظ	ف
٢١	ش	ف	ش	س	٣٠٠	ق	ل	ص	ذ	ق
٢٢	ت	ص	ت	ت	٤٠٠	ك	ن	ظ	ث	ك
٢٣	٠	ض	ث	ث	٥٠٠	ل	ف	ذ	ف	ل
٢٤	٠	ق	خ	خ	٦٠٠	م	ب	ث	ب	م
٢٥	٠	ر	ذ	ذ	٧٠٠	ن	م	ف	م	ن
٢٦	٠	ش	ض	ظ	٨٠٠	هـ	ء/ي	ب	و	ه
٢٧	٠	ت	ظ	غ	٩٠٠	و	و	م	ا	و
٢٨	٠	ث	غ	ش	١٠٠٠	ي	ا	و	ي/ء	ي

مأخوذة عن : المعجم العربي، عدنان الخطيب.

وإذا كانت كلمة « معجم » تطلق اليوم على كل ديوان يجمع مفردات اللغة ومرتب على حروف الهجاء، فإننا نقصد بقولنا « المعجم العربي »؛ مجموع الثروة العظيمة التي خلفها علماء العربية على مدى العصور. وابتدأت الأبحاث اللغوية فقام الخليل بن أحمد الفراهيدي[1] في أسلوب رياضي أدى إلى جمع العربية وتدوينها بين دفتي كتاب سماه: معجم العين. وبناة المعجم العربي، هم في الحقيقة، جميع أولئك العلماء الذين كتبوا وألفوا في ناحية من نواحي اللغة، واشتركوا في إقامة هذا الصرح العربي الضخم.

وإن كان موضوع دراستنا ينحصر في بلاد الأندلس فلا ضير من أن نتطرق إلى التعريف بايجاز إلى كل واحد من أولئك العلماء وأهم معطياتهم للمعجم العربي ضمن جدول مدروس مكثف يضيء جانبًا مهمًا من تاريخ وجود المعجم وإن اقتضى ذلك دراسة مستقلة معمّقة ولسنا من أجل ذلك نعبر ونسوق.

---

(١) العش، يوسف، أولية تدوين المعاجم: مجلة المجمع العلمي العربي: م١٦ دمشق ١٩٤١.

أشهر المشتركين في بناء المعجم العربي ١

العصر	الشهرة	الاسم الكامل	الولادة	الوفاة	معطياته للمعجم واهمّ مؤلفاته اللغوية	مرجع معجمي لترجمته
القرن الاول	الليثي	نصر بن عاصم	٠٠ ٠٠	٨٩هـ ٧٠٧م	ترتيب حروف الهجاء	الادباء
القرن الثاني الهجري	ابو مالك الاعرابي	عمرو بن كركرة النميري	٠٠ ٠٠	٠٠ ٠٠	خلق الانسان، الخيل، النوادر.	البغية ٢/٢٦٧
	ابو خيرة	الاعرابي العدوي	٠٠ ٠٠	٠٠ ٠٠	الحشرات.	الفهرست
	ابو عمرو	زبان بن العلاء عمار	٧٠هـ ٦٩٠م	١٥٤هـ ٧٧١م	النوادر.	الاعلام ٣/٧٢
	الخليل	بن احمد الفراهيدي ابو	١٠٠هـ ٧١٨م	١٧٠هـ ٧٨٦م	العين معاني الحروف، النقط والشكل.	الاعلام ٢/٣٦٣
	الليث	بن المظفر الخراساني ابو	٠٠ ٠٠	١٨٠هـ ٧٩٦م	اتمام العين	الادباء ١٧/٤٣
	يونس النحوي	ابن حبيب الضبي	٩٤هـ ٧١٣م	١٨٢هـ ٧٩٨م	معاني القران.. اللغات.	الاعلام ٩/٣٤٤
	الكسائي	علي بن حمزة الاسدي ابو	١١٩هـ ٧٣٧م	١٨٩هـ ٨٠٥م	معاني القران، المصادر، الحروف، ما تلحن فيه العامة	الاعلام ٥/٩٣
القرن الثالث الهجري	النضر	بن شميل التميمي ابو	١٢٢هـ ٧٤٠م	٢٠٣هـ ٨١٩م	الصفات، السلاح، غريب الحديث.	الاعلام ٨/٣٥٧
	ابو عمرو	الشيباني اسحاق بن مرار	٩٤هـ ٧١٣م	٢٠٦هـ ٨٢١م	الحروف غريب الحديث، النحلة، الابل، الخيل، النوادر، خلق الانسان.	الاعلام ١/٢٨٩
	الفراء	يحيى بن زياد الديلمي ابو	١٤٤هـ ٧٦١م	٢٠٧هـ ٨٢٢م	معاني القران، اللغات، ما تلحق فيه العامة، مشكل اللغة.	الاعلام ٩/١٧٨
	اللحياني	علي بن حازم ابو الحسن	٠٠ ٠٠	٢٠٧هـ ٨٢٢م	النوادر	معجم المؤلفين ٧/٥٦
	ابو عبيدة	معمر بن المثنى التميمي	١١٠هـ ٧٢٨م	٢٠٩هـ ٨٢٤م	ما تلحق فيه العامة، الانسان، الزرع، النوادر، معاني القران، غريب الحديث.	الاعلام ٨/١٩١
	ابو زيد	الانصاري سعيد بن اوس	١١٩هـ ٧٣٧م	٢١٥هـ ٨٣٠م	النوادر، المطر، المياه، خلق الانسان، الشجر، غريب الاسماء	الاعلام ٣/١٤٤
	الاخفش الاوسط	سعيد بن مسعدة	٠٠ ٠٠	٢١٥هـ ٨٣٠م	تفسير معاني القران، الاشتقاق.	الاعلام ٣/١٥٤
	الاصمعي	عبد الملك بن قريب ابو	١٢٢هـ ٧٤٠م	٢١٦هـ ٨٣١م	غريب الحديث، الابل، الاضداد، النحل، الانسان، المترادف، النبات، الخيل.	الاعلام ٤/٣٠٨
	ابن سلام	القاسم الهروي ابو عبيد	١٥٧هـ ٧٧٤م	٢٢٤هـ ٨٣٨م	الغريب المصنف غريب القران، غريب الحديث، الانساب.	الاعلام ٦/١٠
	ابو مسحل	الاعرابي عبد الوهاب بن	٠٠ ٠٠	٢٢٨هـ ٨٤٣م	النوادر، الغريب.	معجم المؤلفين ٦/٢١٨
	ابن الاعرابي	محمد بن زياد ابو عبد الله	١٥٠هـ ٧٦٧م	٢٣١هـ ٨٤٠م	اسماء الخيل، البئر، النوادر، الدرع.	الاعلام ٦/٣٦٥
	الباهلي	احمد بن حاتم ابو نصر	٠٠ ٠٠	٢٣١هـ ٨٤٦م	اشتقاق الاسماء، ما تلحق فيه العامة، الزرع والنخل، الشجر والنبات، الجراد.	الاعلام ١/١٠٤
	ابن السكيت	يعقوب بن اسحاق ابو	١٨٦هـ ٨٠٢م	٢٤٤هـ ٨٥٨م	الالفاظ اصلاح المنطق، الاضداد، الحشرات، غريب القران، النبات والشجر.	الاعلام ٩/٢٥٥
	ابن حبيب	محمد البغدادي ابو جعفر	٠٠ ٠٠	٢٤٥هـ ٨٦٠م	المحبّر، خلق الانسان، المنمق، الامثال على افعل.	الاعلام ٦/٣٠٧
	السجستاني	سهل بن محمد الجشمي	٠٠ ٠٠	٢٤٨هـ ٨٦٢م	ما تلحق فيه العامة، الشجر والنبات، الاضداد، الطير، الوحوش، الحشرات، العشب والبقل.	الاعلام
	ابو اسحاق	ابراهيم بن سفيان الزيادي	٠٠ ٠٠	٢٤٩هـ ٨٦٣م	اسماء السحاب والرياح والامطار.	الاعلام ١/٣٤
	المازني	بكر بن محمد ابو عثمان	٠٠ ٠٠	٢٤٩هـ ٨٦٣م	ما تلحق فيه العامة.	الاعلام ٢/٤٤
	الهروي	شمر بن حمدويه ابو عمرو	٠٠ ٠٠	٢٥٥هـ ٨٦٩م	الجيم غريب الحديث، السلاح، الجبال والاودية.	الاعلام ٣/٢٥٣
	ابن قتيبة	عبد الله بن مسلم الدينوري	٢١٣هـ ٨٢٨م	٢٧٦هـ ٨٨٩م	غريب الحديث، الاشتقاق، مشكل القران، النبات، غريب القران، ادب الكاتب.	الاعلام ٤/٢٨٠
	الدينوري	احمد بن داوود ابو حنيفة	٠٠ ٠٠	٢٨٢هـ ٨٩٥م	النبات، ما تلحق فيه العامة، اصلاح المنطق.	الاعلام ١/١١٩
	المبرد	محمد بن يزيد الازدي ابو	٢١٠هـ ٨٢١م	٢٨٦هـ ٨٩٩م	الكامل، المذكر والمؤنث، اعراب	الاعلام ٨/١٥
	ثعلب	احمد بن يحيى الشيباني	٢٢٠هـ ٨١٦م	٢٩١هـ ٩٠٤م	الفصيح، المجالس، معاني القران، معاني الشعر، ما تلحق فيه العامة.	الاعلام ١/٢٥٢

أشهر المشتركين في بناء المعجم العربي ٢

العصر	الشهرة	الاسم الكامل	الولادة	الوفاة	معطياته للمعجم واهمّ مؤلفاته اللغوية	مرجع معجمي لترجمته
القرن الرابع الهجري	كُراع النمل	علي بن الحسن الهنائي ابو الحسن	٠٠ ٠٠	بعد ٣٠٩هـ ٩٢١م	المنجد. المنضد. المجرد. غريب اللغة.	الاعلام ٥/٧٩
	الأخفش الاصغر	علي بن سليمان النحوي ابو الحسن	٠٠ ٠٠	٣١٥هـ ٩٢٧م	المهذب. الانواء. التثنية والجمع.	الاعلام ٥/١٠٣
	الهمداني	عبد الرحمن بن عيسى	٠٠ ٠٠	٣٢٠هـ ٩٣٢م	الالفاظ الكتابية.	معجم المؤلفين ٥/١٦٣
	ابن دريد	محمد بن الحسن ازدري ابو بكر	٢٢٣هـ ٨٣٨م	٣٢١هـ ٩٣٣م	الجمهرة الاشتقاق. الملاحن. السرج واللجام. المطر والسحاب. اللغات.	الاعلام ٦/٣١٠
	نفطويه	ابراهيم بن محمد الازدي ابو عبدالله	٢٤٤هـ ٨٥٨م	٣٢٣هـ ٩٣٥م	غريب القران	الاعلام١/٥٧
	الانباري	محمد بن القاسم ابو بكر	٢٧١هـ ٨٨٤م	٣٢٨هـ ٩٤٠م	الزاهر. الاضداد. غريب الحديث. شرح المعلقات.	الاعلام ٧/٢٢٦
	قدامة	بن جعفر البغدادي ابو الفرج	٠٠ ٠٠	٣٣٧هـ ٩٤٨م	جواهر الالفاظ	الاعلام ٦/٣١
	الزجاجي	عبد الرحمن بن اسحق ابو القاسم	٠٠ ٠٠	٣٣٧هـ ٩٤٩م	الابدال والمعاقبة والنظائر. الامالي. معاني الحروف	الاعلام ٤/٦٩
	غلام ثعلب	محمد بن عبد الواحد ابو عمر	٢٦١هـ ٨٧٥م	٣٤٥هـ ٩٥٧م	اليواقيت في غريب القرآن. غرائب الحديث. المداخل. المستدرك.	الاعلام ٧/١٣٢
	البشتي	احمد بن محمد الخارزنجي	٠٠ ٠٠	٣٤٨هـ ٩٥٩م	تكملة العين.	الاعلام ١/٢٠٠
	الفارابي	اسحق بن ابراهيم ابو ابراهيم	٠٠ ٠٠	٣٥٠هـ ٩٦١م	ديوان الأدب.	الاعلام ١/٢٨٤
	ابو الطيب	اللغوي عبد الواحد بن علي الحلبي	٠٠ ٠٠	٣٥١هـ ٩٦٢م	الاتباع. المثنى. الابدال.الاضداد.. الفروق.	الاعلام ٤/٣٢٥
	الاصبهاني	علي بن الحسين الأموي ابو الفرج	٢٨٤هـ ٨٩٧م	٣٥٦هـ ٩٦٧م	الاغاني	الاعلام ٥/٨٨
	القالي	اسماعيل بن القاسم البغدادي ابو علي	٢٨٨هـ ٩٠١م	٣٥٦هـ ٩٦٧م	البارع. الامالي. المدود والمقصور. الابل	الاعلام ١/٣١٩
	الازهري	محمد بن احمد الهروي ابو منصور	٢٨٢هـ ٨٩٥م	٣٧٠هـ ٩٨١م	تهذيب اللغة. غريب الالفاظ	الاعلام ٦/٢,٢
	علي ابو القاسم	ابن حمزة البصري اللغوي	٠٠ ٠٠	٣٧٥هـ ٩٨٥م	التنبيهات على اغلاط الرواة. رد على اصلاح المنطق الفصيح	الاعلام ٥/٩٤
	الزبيدي	محمد بن الحسن الاندلسي ابو بكر	٣١٦هـ ٩٢٨م	٣٧٩هـ ٩٨٩م	مختصر العين لحن العامة	الاعلام ٦/٣١٢
	العسكري	الحسن بن عبد الله ابو احمد	٢٩٣هـ ٩٠٦م	٣٨٢هـ ٩٩٣م	تصحيفات المحدثين. المختلف والمؤتلف	الاعلام ٢/٢١١
	الرماني	علي بن عيسى ابو الحسن	٢٩٦هـ ٩٠٨م	٣٨٤هـ ٩٩٤م	الالفاظ المترادفة	الاعلام ٥/١٣٤
	الصاحب	بن عبّاد اسماعيل ابو القاسم	٣٢٦هـ ٩٣٨م	٣٨٥هـ ٩٩٥م	المحيط. جوهرة الجمهرة.	الاعلام ١/٣١٢
	ابن جني	عثمان الموصلي ابو الفتح	٠٠ ٠٠	٣٩٢هـ ١٠٠٢م	الخصائص. سر الصناعة.	الاعلام ٤/٣٦٤
	الجوهري	اسماعيل بن حماد ابو نصر	٠٠ ٠٠	٣٩٣هـ ١٠٠٣م	الصحاح.	الاعلام ١/٣٠٩
	ابن فارس	احمد بن زكريا القزويني ابو الحسين	٣٢٩هـ ٩٤١م	٣٩٥هـ ١٠٠٤م	مقاييس اللغة المجمل. الصحابي. الفصيح. فقه اللغة.	الاعلام ١/١٨٤
	العسكري	الحسن بن عبد الله ابو هلال	٠٠ ٠٠	بعد٣٩٥هـ ١٠٠٥م	الفروق. أسماء بقايا الاشياء. ما تلحن فيه الخاصة.	الاعلام ٢/٢١١
	البرمكي	محمد بن تميم أبو المعالي	٠٠ ٠٠	بعد ٣٩٧هـ	المنتهى في اللغة. ترتيب الصحاح بحسب أوائل الكلمة.	الاعلام ٩/١٣٨
القرن الخامس الهجري	الهروي	اسماعيل بن حماد ابو نصر	٠٠ ٠٠	٤٠١هـ ١٠١١م	غريب القرآن. غريب الحديث.	الاعلام ١/٢٠٣
	الاسكافي	محمد بن عبد الله الخطيب	٠٠ ٠٠	٤٢٠هـ ١٠٢٩م	غلط العين. مبادئ اللغة	الاعلام ٧/١٠٢
	الثعالبي	اسماعيل بن حماد ابو نصر	٣٥٠هـ ٩٦١م	٤٢٩هـ ١٠٣٨م	فقه اللغة. المتشابه. المضاف والمنسوب.	الاعلام ٤/٣١١
	ابن التياني	تمام بن غالب الاندلسي	٠٠ ٠٠	٤٣٦هـ ١٠٤٤م	الموعب.	الاعلام ٢/٣٠
	ابن سيده	علي بن اسماعيل ابو الحسن	٣٩٨هـ ١٠٠٧م	٤٥٨هـ ١٠٦٦م	المحكم والمحيط الاعظم. المخصص. شرح المشكل من شعر المتنبي.	الاعلام ٥/٦٩

الفصل الأول
القالي وأهمية مدرسته

لم نرد في التمهيد الذي سبق، أن نتوقف بتفصيل عند العوامل الباعثة على ازدهار الثقافة الأندلسية، ولا تلك التي عملت على توجيه هذه الثقافة نحو مسالك معيّنة، فحسبنا أننا أشرنا إلى المهم منها. فذلك موضوع طالما بحثه الدارسون، قدامى ومحدثون. والذي يشغلنا في هذا المقام هو الجانب اللغوي من تلك الثقافة بعامة والمؤلفات المعجمية بخاصة.

غير أننا نلفت المهتمين إلى باعث مهم أدّى دورًا مميزًا في تأصيل الدراسات اللغوية وتنشيطها بصورة منهجية ابتداءً من القرن الرابع الهجري، وهو التيار الذي تمّاه في الأندلس أبو علي القالي وطوّره من بعده تلامذته الأندلسيون وتقدموا به مراحل وأشواطًا بعيدة.

أولًا: أبو علي القالي[1]: (ت ٣٥٦ / ٩٦٧)

أ: نسبه، ب: نشأته، ج: مؤلفاته المعجمية★ .

أ ـ هو اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان. ولعل ذلك يدل على أنه لم يتحدر من أصل عربي واضح. كانت ولادته في عام (٢٧٨ / ٨٩٣) في منازجرد من ديار بكر وهي من أعمال ارمينية[2] .

تاريخ طفولته غامض للغاية، إذ إن الحقبة ما بين ولادته وانتقاله إلى العراق غير معروفة. غلب عليه لقب القالي، نسبة إلى مدينة قالي قلا، وهي بلدة قريبة من مسقط رأس أبي علي، وذكر هذه البلدة يرد غير مرّة في كتب التاريخ مرتبطًا بذكر منازجرد[3] .

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات الزبيدي: ٢٠٢ ـ ٢٠٥، تاريخ ابن الفرضي ١ :٨٣، شذرات الذهب، ٣ :١٨ . معجم الادباء ٧ :٢٥ . نفح الطيب، ٤ :٧٠ ـ ٧٥ .

(★) سنأتي الى تفصيل ذلك في الفصل اللاحق.

(٢) انباه الرواة، ١ :٢٠٧ .

(٣) معجم البلدان: مادة قاليقلا .

ب ـ نشأته

وفي سن الثالثة والعشرين، دخل أبو عليّ العراق وتنقّل بين الموصل والبصرة حتى استقر في بغداد[1].

تتلمذ على أساتذة في الحديث والعلوم الدينية[2] منهم: أبو بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني وأبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد[3] وأبو عمر يوسف بن يعقوب القاضي[4] وغيرهم كثيرون[5] . . .

---

(١) تاريخ ابن الفرضي، ١ :٨٣. جذوة المقتبس :١٥٤ . معجم الادباء ٧ :٢٦ .

(٢) هو ابو بكر عبدالله بن ابي داود سليمان بن الأشعث السجستاني كان محدّث العراق وابن إمامها في عصره من اهل الفقه والعلم والاتقان مات سنة (٣١٦ و/٩٢٦) (الانساب للسمعاني ص٢٩١). القالي - الامالي. ص(ح). دار الآفاق - بيروت.

(٣) هو يحيى بن محمد بن صاعد أبو محمد مولى أبي جعفر المنصور. ولد سنة (٢٢٨ و/٨٤٢) ورحل في طلب الحديث الى البلاد وكتب وحفظ وسمع أحمد بن منيع وبندا - محمد بن المثنى والبخاري وخلقًا كثيرًا... وروي عنه من الأكابر ابو عبدالله بن محمد، البغوي والجفاني وابن المظفر والدار قطني... وكان ثقة مأمونا من كبار حفّاظ الحديث، وله تصانيف في السنن تدل على فقهه وفهمه... تُوفي في ذي العقدة سنة (٣١٧ هـ/٩٢٧) وله تسعون سنة ودفن في باب الكوفة. راجع الأمالي ص (ط).

(٤) هو يوسف بن يعقوب بن اسماعيل بن حماد بن زيد ابو محمد البصري. ولد سنة (٢٠٨ هـ/٨٢٣) وسمع سليمان بن حرب وعمرو بن مرزوق... روى عنه ابو عمرو بن السماك وابو سهيل بن زياد وأبو بكر الشافعي وغيرهم. وكان ثقة قد ولي القضاة بالبصرة في سنة (٢٧٦ هـ/٨٨٨) وضم إليه قضاء واسط ثم اضيف الى ذلك قضاء الجانب الشرقي من بغداد. وكان جميل الأمر حسن الطريقة ثقة عفيفًا مهيبا عالما بصنعة القضاء لا يراقب فيها احدًا... توفي في رمضان سنة (٢٩٧ هـ/٩٠٩) (ابن الجوزي ج٦/٧٣) (الأمالي ص ط).

(٥) المصدر نفسه. من أراد التوسع في معرفة هؤلاء، عاد الى المصدر المذكور.

وأخذ عن أمثالهم في الأدب واللغة والخبر، نذكر منهم: بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري[1] وأبي بكر محمد بن بشار الأنباري[2] وأبي عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه[3]. وغيرهم كثيرون...

كل هذه السنوات التي قضاها في العراق، جعلت منه عالمًا متميزًا بسعة الاطلاع وبروح علمية تنشد الدقة في كل الأعمال. وستكون دقته العلمية من أكبر العوامل التي جعلته يربح قلوب الأندلسيين ويؤثّر فيهم ويضع الأصول الصحيحة للحياة اللغوية في الأندلس.

دخل القالي الأندلس سنة ٩٤٢/٣٣٠ في أيام الخليفة الناصر[4]. ولم يكن في طريقه متفائلًا بحال اللغة هناك، بل كان متخوفًا لما ينتظره من جهد وتعب في هذا المضمار. غير أن أهل

---

(١) ولد في البصرة سنة (٨٣٨/٢٢٣) ومات سنة (٩٣٣/٣٢١). كان اعلم الناس في زمانه باللغة والشعر من مؤلفاته: الجمهرة، السرج واللجام. الاشتقاق... انظر: طبقات الزبيدي: ٢٠١. انباه الرواة، ٣:٩٢ - ١٠٠).

(٢) ولد سنة (٨٨٤/٢٧١). توفي سنة ٩٤٠/٣٢٨. كان احفظ الناس للغة والنحو والشعر وتفسير القرآن. من مؤلفاته. كتاب المشكل في معاني القرآن، كتاب الأضداد في النحو، كتاب الزاهر، كتاب الكافي في النحو، المقصور والممدود. انظر: انباه الرواة، ٣:٢٠١ - ٢٠٨.

(٣) توفي في بغداد سنة ٩٣٥/٣٢٣. كان اديبًا متفننًا في الأدب حافظًا للأشعار. انظر طبقات الزبيدي: ١٢٢ - ١٢٥. انباه الرواة، ٣:١٤٥ - ١٥٠.

(٤) الطبقات: ٢٠٤. انباه الرواة، ١:٢٠٨.

الأندلس لم يكونوا كما توقع القالي، وقد استقبل استقبالًا حافلًا في حضور الناصر نفسه وأنشد الشعراء يومئذ قصائدهم وخصوصًا الشاعر المشهور يوسف بن هارون الكِنـدِي المعـروف بـالـرَّمـادي بقصيدة قال فيها:

رَوضٌ تَعاهَده السحابُ كأنــه ... مُتعاهدٌ مِنْ عهدِ «اسماعيــل»
قِسْـه إلى الأعـراب تَعْلَـم أنه ... أَوْلى من الأعرابِ بالتفضيــلِ
حازت قبائلُهم لُغاتٍ فُرّقَـت ... فيهم وحاز لغات كـلِّ قبيـلِ
فالشرقُ خـالٍ بعـده فكـأنما ... نزل الخرابُ بربضـه المأهـولِ
وكأنه شمسٌ بَدَتْ في غَرْبنـا ... وتَغَيَّبَتْ عن شرقهـم بأُفـولِ
يا سيِّدي هذا ثنائـي لم أَقُـل ... زُورا ولا عرَّضتُ بالتنـويـلِ
مَنْ كان يأملُ نائلا فأنا امـرؤٌ ... لم أرجُ غيرَ القُرب في تـأميلي

ولم يكن القالي مُحتَرَم المقام من الخليفة «الحَكَم» ووالده عبد الرحمن الناصر فَحَسْبُ، بل كان محترمًا أيضًا من علماء عصره. لأنهم عرفوا فيه غزارة العلم والأدب السامي فاحلّـوه المحـلّ اللائـق لنبوغه وكان القالي يقدّر من يستحق التقدير من علماء عصره[1]. فضلًا عن ذلك كان لطيف المزاج، جميل المداعبة، أنيس العِشرة.

استقر أخيرًا في قرطبة يدرّس ويؤلف وقد جلب معه أحمالًا من الكتب العربية القديمة. ثم مضت به الأيام وهو يلاقي التشجيع والإكرام ويقيم حلقات التدريس في قرطبه والزهراء، وكان في أثناء ذلك يعمل في معجمه البارع حتى أدركته المنيّة قبل أن

(١) الأمالي: ص (ف).

ينقحه[1]. ستا وعشرين سنة قضاها في خدمة العلم وتخريج الطلاب في الأندلس.

ج ـ مؤلفاته

ذكرت الأخبار أن القالي كان يتمتع بذاكرة قوية فله «أوضاع كثيرة املاها عن ظهر قلب»[2]. وله كتب كثيرة، ارتجل جميعها وأملاها عن ظهر قلب كلها[3].

هذه الأخبار التي رددتها المصادر المختلفة توضح لنا كيف استطاع القالي ان يقدم التآليف الكثيرة الواسعة.

تقع هذه المؤلفات في ثلاثة أنواع: أخبار، مؤلفات أدبية وأخرى لغوية معجمية.

أهم المؤلفات التي ذكرتها المصادر هي:

١ ـ الممدود والمقصور[4]:

«بناه على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق، مستقصى في بابه لا يشذ عنه شيء من معناه»[5]. وأشارت بعض المصادر إليه ووصفته بأنه «لم يوضع له نظير»[6]. وخالف الحميدي **المصادر**

---

(١) انظر تاريخ قضاة الاندلس: ٦٦. فهرسة ابن خير: ٣٥٥

(٢) طبقات الزبيدي: ٢٠٢، معجم الادباء، ٧: ٢٨.

(٣) انباه الرواة ١: ٢٠٦ معجم الادباء، ٧: ٣٠.

(٤) بروكلمان، ٢: ٢٨٠.

(٥) طبقات الزبيدي: ٢٠٣. انباة الرواة: ٢٠٦ معجم الأدباء ٧: ٢٩.

(٦) طبقات الزبيدي: ٢٠٣. انباة الرواة، ١: ٢٠٦. معجم الادباء ٧: ٢٩.

الأخرى فسماه « المقصور والممدود والمهموز »[1]. وذكر ابن خير انه في عشرة أجزاء[2].

٢ ـ فعلت وأفعلت[3]:

لم تذكر المصادر أية تفصيلات حول هذا الكتاب سوى أنه « وصل لأمير المؤمنين (يعني الناصر) حتى جعله ثلاثة أمثال ما كان للزجاج »[4]. فيبدو أنه في الأساس كتاب الزجاج المعروف بهذا الاسم وزاد القالي عليه.

٣ ـ كتاب في الإبل ونتاجها وما تصرف منها ومعها[5]:

ذكر أنه في خمسة أجزاء. ولم يذكر شيء عن ذلك.

٤ ـ مقاتل الفرسان:

لم يصل إلينا من هذا الكتاب سوى اسمه[6] وسماه السيوطي « مقاتل العرب »[7].

---

(١) جذوة المقتبس: ١٥٦.

(٢) فهرسة ابن خير: ٣٥٣. سنقف على تفصيل هذا الكتاب في الفصل الأخير في باب معاجم الأفعال.

(٣) طبقات الزبيدي: ٢٠٣، معجم الادباء ٧ :٢٩، انباة الرواة: ١/٢٠٦.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) فهرسة ابن خير: ٣٥٥.

٥ ـ في حلى الإنسان والخيل وشياتها[١]:

لم يردنا سوى اسمه.

٦ ـ في تفسير القصائد والمعلقات واعرابها ومعانيها[٢].

٧ ـ فهرسة أبي علي البغدادي:

أخباره وتسمية كتبه[٣].

٨ ـ كتاب الأمثال (افعل من كذا)[٤]

قد رتب الأمثال على حروف المعجم تسهيلًا لتناولها. وتحدث في بداية الكتاب عن أحوال التعجب والقواعد التي تضبطه، وارتباط بعض الأمثال بأماكن معينة. ثم حاول تنسيقها فاستغرق الكتاب خمسًا وسبعين ورقة. من خصائص هذا الكتاب:

أ ـ انه لا يذكر اسماء الكتب والمؤلفين الذين أخذ عنهم.

ب ـ تخلص الكتاب من تفصيلات وزوائد كثيرة.

ج ـ تبدو على الكتاب صورة تنظيمية واضحة.

هذه المزايا جعلت منه أقرب إلى معجم في فن معيّن من الأمثال.

---

(١) طبقات الزبيدي: ٢٠٣، انباة الرواة، ١ :٢٠٦.

(٢) انباه الرواة، ١ :٢٠٦، فهرسة ابن خير: ٣٥٥.

(٣) فهرسة ابن خير: ٤٣٤.

(٤) مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم: أدب ٧٤٤٢.

٩ ـ البارع:

وهو المعجم الأول في بلاد الأندلس قرب على حروف المعجم. جمع فيه كتب اللغة، يشتمل على ثلاث آلاف ورقة، قال الشيخ الإمام أبو محمد العربي: «كتاب البارع لابي علي القالي يحتوي على مائة مجلّد لم يصنّف مثله في الاحاطة والاستيعاب[1]» (الأمالي: المقدمة).

١٠ ـ كتاب الأمالي:

أ ـ **دواعي تأليفه:** حاول القالي في مقدمة كتابه أن يوضح السبب فيقول: «لما رأيت العلم أَنْفَس بضاعة، ايقنت أن طلبه افضل تجارة؛ فاغتربتُ للرواية، ولزمت العلماء للدراسة؛ ثم اعملتُ نفسي في جمعه وشغلت ذهني بحفظه، حتى حَوَيتُ خطيره، واحرزت رفيعه ورويت جليله، وعرفت دقيقه وعقلت شارده ورويت نادره، وعلمت غامضه، ووعيت واضحه... فأمللت هذا الكتاب من حفظي في الأَخمِسة بقرطبة. وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة، واودعته فنونًا من الأخبار، وضروبًا من الأشعار وأنواعًا من الأمثال، وغرائب اللغات على أني لم اذكر فيه بابا من اللغة إلا اشبعته....»[2].

فغاية تأليف هذا الكتاب إذًا، هي تلك المهمة التدريسية التي

---

(١) ويأتي الحديث عنه في موضع آخر من الكتاب.

(٢) الامالي: المقدمة ج ١/٣.

نذر القالي لها نفسه. ويكون بذلك قد حقق جانبًا مهمًا من الهدف الذي من أجله ذهب إلى الأندلس.

ب ـ مادة الكتاب: ذكر القالي في المقدمة طبيعة المادة التي اشتمل عليها كتاب: «أودعته فنونًا من الأخبار...» نورد على سبيل المثال البعض منها: ١ ـ مطلب اسماء الزوجة:

وحليلة الرجل: امرأته، وحليلته أيضًا جارته التي تُحَالُّه وتَنْزِل معه.

قال الشاعر:

وَلَسْتُ بأطلَس الثَّوبَينِ يُصبي خلِيْلَتَهُ إذا هَجَعَ النِّيَامُ

وعِرْسُ الرجل: امرأته أيضًا. قال امرؤ القيس:

كَذَبْتِ لقد أُصبِي على المرءِ عِرْسَهُ
وأمْنَعُ عِرْسي أن يُزَنَّ بها الخالي

وهو أيضًا عرسُها وهي حنَّتُه قال كُثَيِّر:

فقلتُ لها بل أنتِ حَنَّةُ حَوْقَلٍ
جَرى بالفِرَى بيني وبينَكِ طابِنُ

والفِرَى جمع فِرية، وقال الشاعر:

ما أنتِ بالحَنَّةِ الوَدُودِ ولا
عِندَكِ خيرٌ يُرجَى لمُلتَمِسِ

وهي طَلَّتُه أيضًا، قال الشاعر:

وإنَّ آمْرَأً في الناس كُنْتُ ابْنَ أُمِّه
تبدَّلَ مِنّي طَلَّةً لَغَبِينُ

دَعَتْكَ إلى هَجْري فطاوَعْتَ امرَها
فنَفْسَكَ لا نَفسِي بذاك تُهينُ

وقال الآخر:

ألا بَكَرَتْ طَلَّتي تَعْذُل   وأسماءُ في قولها أعْذَلُ
تُرِيدُ سُلَيماكَ جمعَ التِّلا   دِ والضَّيفُ يَطْلُبُ ما يأكُلُ

ورَبَضُه ورُبْضُه أيضًا، والرِّبْضُ: كلُّ ما أويْتَ إليه، قال الشاعر:

جاء الشتاءُ ولمَّا اتَّخِذْ رَبَضًا
يا وَيْحَ كَفَّيَ مِنْ حَفْرِ القَرامِيصِ

والقُرمُوص: حُفْرةٌ يحتفرها الصائد إلى صدره فيدخل فيها اشتد عليه البَرْد. والقرموص: مَبِيضُ القَطَاة.

وقَعِيدةُ الرجل أيضًا: امرأتُه. قال الأشعر الجُعْفى:

لكِنْ قَعِيدَةُ بَيْتِنا مَجْفُوَّةٌ   بادٍ جناجِنُ[1] صدرها ولها غِنَى

وزَوْجُه أيضًا، قال الأصمعي: ولا تكاد العرب تقول زَوْجَتَه، وقال يعقوب: يقال: زوجة وهي قليلة، قال الفرزدق:

---

(١) الجناجن: العظام.

وإنَّ الذي يَسعَى ليُفسِدَ زَوْجَتِي   كَسَاعٍ إلىٰ أُسدِ الشَّرى يَسْتبيلُها

وهي بَعْلُه أيضًا وَبَعْلَتُه، وأنشد الفراء:

شَــرٌّ قَــرِيــنٍ للكبير بَعْلَتُــه   تُــولِــغُ كلبًا سُؤرَهُ أو تكْفِتُــه

يعني: أن امرأته قد تقذَّرتْه حين كَبِر، فإذا شرب لَبَنًا وبقى سؤرُه ـ والسؤر بقية الشراب في الإناء ـ تُولغِهُ كلبًا أو تكْفِتِه: أي تَقْلِبه على الأرض. وَبَيتُه ايضًا، قال الراجز:

أقول إذا حَوْقَلْتُ أو دَنَــوْتُ   وبعضُ حِيقَالِ الرِّجــالِ الموتُ

مالي إذا أنزِعُهــا صَــأيــتُ[1]   أكــبرٌ غَيَّـــرَني أَمْ بَـيْـــتُ

وشَهْلَتُه أيضًا، أنشدني أبو بكر الأنباري:

ولو شَهْلَةٌ شابَتْ وما مَسَّ جَيْبَهــا   ولا رَاحَتَيهــا الشَّثْنَتَينِ عَبيرُ

والشَّهلة أيضًا: العَجُوز. الشثنتان: الأصابع الغليظة وهو عيب عند النساء.

قال الراجز:

باتت تُنَــزِّي دَلْــوهــا تنــزِّيًــا   كما تُنَــزِّي شَهْلَـــةٌ صَبيًّــا

وأضاف القالي في المعنى نفسه:

وجَثْلَتُه ومُعَزِّبَتُه: امرأته، وقال غيره: وحَوْبَتُه أيضًا. والحَوْبة: القرابة من قِبَل الأم...»

---

(١) صأيت: صحت.

٢ ـ في اللغة: مادة «غرر»[(١)]:

قال أبو علي: قال أبو نصر: يقال كان ذلك في غَرَارتي وحداثتي، أي في غرّتي وعيشٌ غرير إذا كان لا يفزّعُ أهله وامرأة غريرة إذا لم تجرّب الأمور، ورجل غِرٌّ وامرأة غِرٌّ إذا كانا غير مُجَرَّبَيْن للأمور. ويقال: ما غرَّك بفلان، أي كيف اجْترأت عليه. قال الله عز وجل: ﴿ما غَرَّكَ بربِّكَ الكريم﴾ ويقال: مَنْ غَرَّكَ من فلان، أي من أوطأك عَشْوةً. وفي عشوة ثلاث لغات: يقال: عِشوة وعَشوة وعُشوة. ويقال: أنا غريرُك من فلان أي من يأتيك منه ما تَغْتَرُّ به. كأنه قال: أنا القيِّمُ لك بذاك. ويقال، أتانا على غرار وغشاش، أي على عَجَلة. ويقال، ما نَوْمُه إلا غِرار أي قليل، ويقال: غارَّت الناقة تُغَارُّ غِرارًا إذا رَفَعَتْ لبنها. والغُرور: مَكاسر الجلد، واحدها غَرٌّ، قال دُكَين بن رجاء الفُقَيْمي:

كأنَّ غَرَّ مَتْنِهِ إذا تَجنُبُهْ   سَيْرُ صناعٍ في خريز تكْلُبُهْ

يعني أن تثَنّي الشَّعرة أو اللِّيفة ثم تُدْخِل السيرَ في ثنى الشعرة المَثْنيَّة ثم تَجْذِبه فتخرج السير مع الشعرة. وزعموا أن رؤبة بن العجّاج اشترى ثوبًا من بزّار فلما استوجبه قال: اطْوِه على غرّه، أي على كُسُور طيِّه. ويقال: ضَرَبَ نَصْلَه على غِرارٍ واحد، أي على مثال واحد، قال الهذليّ:

سديدُ العَبْر لم يَدْحَضْ عليه الغِرَارُ فقِدحُهُ زَعِلٌ دَروجُ[(٢)]

---

(١) الامالي: ج١ ص٢٦٣ مادة «غرر».

(٢) البيت: لعمرو بن الداخل. سديد: مستقيم، العبر: الناتىء وسط النصل. لم

ويقال: ليت هذا اليومَ غِرارُ شهرٍ في الطول، أي مثال شهر في الطول والغراران ما عن يمين النصل وشماله. وغِرارُ السيف، حَدُّه.

قال الأصمعي، يقال: بَنَى بَنُو فلان بُيُوتَهم على غِرارٍ واحد أي على سطر واحد. ويقال: غَرَّ الطائرُ فَرْخَه يَغُرُّه غَرًّا إذا زقَّه؛ وقرأت على أبي بكر للشماخ:

ولما رأيتُ الأمرَ عَرْشَ هَوِيَّـةٍ   تَسَلَّيْتُ حاجاتِ الفؤادِ بَشُمَّـرا

قول: ولما رأيتُ الأمرَ عَرْشَ هوية، مَثَلٌ.

المعروشة: المطوية بالخشب.

الهَوِيَّة: البئر.

وشمَّر: اسم ناقة.

وبعد، فان ذلك يعني أن كتاب الأمالي يمتاز بالنقاط التالية:

١ ـ اشباع التفسيرات اللغوية وإعطاء كل تفسير حقه.

٢ ـ ذوق القالي في اختيار الشعر والأخبار.

٣ ـ اعتماده على الخبر المنتحل.

٤ ـ المعاني والأمثال المرسلة والتي أطلقها القالي.

٥ ـ مبحث الكلام على الغريب من الحديث والقرآن.

٦ ـ الإكثار من استعراض الأسماء والخطب في الجزء الأول،

= يدحض: أي لم يزلق. الغرار: المثال الذي يضرب عليه النصل. الدروج: الذاهب في الارض.

والكلام على أمثال العرب وأشعارهم في الجزء الثاني.

٧ ـ وقوفه على فرعين من الكلام في الجزء الثاني هما: الاتباع، والابدال.

والنصيب الأوفر في كل ذلك، هو للقضايا اللغوية التي عالجها القالي بوفرة واسهاب.

فوقف على المادة الأولى في معالجة كلمة «نسأ» والحديث عن معانيها. وهو يستشهد لايضاح ذلك بآيات قرآنية وبأشعار العرب وكلامهم.

ومثل هذا الحديث عن مادة واحدة كثير. وتكراره يدل على أن القالي يهتم بالألفاظ من حيث هي. ولعلّ ذلك كان سببًا دفعه فيما بعد، إلى تأليف معجمه «البارع».

كما تحدث عن فقرات توالى فيها حرفان متعاقبان كاللام والنون[١] والعين والحاء[٢] والهمزة والهاء[٣] والسين والتاء[٤] والجيم والحاء[٥] أو الهمزة والعين[٦] مثلًا[٧]. ولم يهمل أقوال اللغويين التي

---

(١) الامالي: ج ٢/٤٠.

(٢) المصدر نفسه: ٢ ص ٦٥.

(٣) المصدر نفسه ص ٦٦.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه، ٢/٧٦.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

درجت حول هذا، بل أورد الروايات من غير أن يعلـل لمثـل هـذا التعاقب.

إلى جانب ذلك فقد تطرق إلى باب لغوي مستقبل: كأحرف الابدال مثلًا[1] وقد أفرد مؤلفون آخرون مثل هذا الباب، منهم سيبويه في «الكتاب» والزبيدي في «الاستدراك على سيبويه». أما القالي فيورده من غير علاقـة بما يسبقـه أو بما يلحقـه مـن أبـواب.

١ ـ حرصه على الدقة يجعله في غير مرة يعمد إلى ذكر وزن اللفظة منعًا لأي التباس.

٢ ـ اعتماده على تفسير غريب النصوص، سواء أكانت دينية، أدبية أو لغوية.

٣ ـ محاولته ايفاء الموضوع حقه إذ إنه لا يكتفي بالأبيات التي تصف الرواية بل يورد أبياتًا أخرى من قصيدة أخرى للشاعر نفسه.

٤ ـ إكثاره من ذكر العلماء، فهو قد اتكل على اللغويين اتكالًا كبيرًا في رواياته.

٥ ـ الأخذ عن الكتب إلى جانب سعة ملفتة في الرواية الشفهية.

مآخذ أبو عبيد البكري على كتاب «الأمالي» في كتابه: «التنبيه على أوهام أبي علي في «أماليه»»:

---

(١) المصدر نفسه ٤ :١٨٢.

١ ـ الخطأ في التفسير: فقد أنشد القالي:

إن الذئابَ قد اخضرّت براثِنُها   والناسُ كُلّهم بكرٌ إذا شَبِعُوا

فقال: يريد أن الناس كلهم عدو لكم إذا شبعوا كبكر بن وائل. قال البكري: لم يرد الشاعر هذا المعنى لأن الناس كلهم لم يكونوا عدوًا لبني تميم ولا أقلهم وإنما يريد أن الناس إذا شبعوا هاجت أضغانهم وطلبوا الطوائل والتراث في أعدائهم فكانوا لهم كبكر بن وائل لبني تميم[1].

٢ ـ خطأ في الرواية: أنشد أبو علي: «وأهلك مهر أبيك» بفتح الكاف وإنما هو بكسرها لأن الحديث موجه إلى أسماء في البيت السابق:

أأسماء لم تسألي عن أبيك   والقوم قد كان فيهم خطوب[2]

٣ ـ حين يجهل قائل الشعر، ينسبه إلى أعرابي، من ذلك أبيات للأحوص الذي لم يدخل البادية.

٤ ـ خلط شعر بشعر آخر لاتحادهما في الوزن والروي.

٥ ـ نسبة الشعر إلى غير قائله الأصلي.

٦ ـ الخطأ في بعض أسماء الاعلام والأماكن كأن يقول سلمى في من اسمه سلمي أو في النسبة: كقوله مالك بن الريب المزني والمقصود المازني.

---

(١) التنبيه: ١٨.

(٢) التنبيه: ٢٠.

٧ ـ خطأ في تفسير اللغة، مثل قوله في تفسير «جافل» كقول الشاعر:

كــريم إذا لاقيتــه متبســما ... وإما تولّى اشعث الرأس جافله

الجافل: الذاهب، قال البكري: وهذا تفسير لا يسوغ في هذا البيت ولا يجوز وأي مدخل للذهاب ها هنا، وإنما الجافل هنا من الجفال وهو الشعر الكثير[1].

وبعد، فإننا ندرك أن للقالي دورًا بارزًا في توجيه ركب الثقافة الأندلسية. وقد برز هذا الدور في وسائل متعددة منها:

١ ـ جملة الكتب التي أتى بها القالي من المشـرق، وهي تحتوي أمات المصادر العربية والينابيع المشرقية.

٢ ـ ميزة مؤلفاته، ذات الطابع الأدبي واللغوي، بالدقة والوضوح. كما أنها عدت زادًا للأجيال المقبلة تناقشها وتدرسها.

٣ ـ قدّم للأندلسيين أصولًا معتمدة مقروءة على العلماء فأوجد بذلك أساس الدقة اللغوية المعجمية.

٤ ـ أثّر بشخصيته الفذة في خلق طبقة من التلامذة كان منهم شخصيات مرموقة أدّت دورًا كبيرًا في نشر علم القالي ومنهجه أمثال الزبيدي، وابن القـوطيـه والأخـواف ابني أبـان بـن سيـد وغيرهم.. وهم لا يرون إمامًا عداه.

---

(١) المصدر نفسه: ٩٩.

٥ ـ أوجد للأندلسيين معايير من التقدير العلمي والذاتي بتواضعه وحسن خلقه.

وزبدة القول إن الأندلس عرفت في القالي «المعلم الأول» في اللغة والمعجم وعلى منهاجه سلكت الدراسات التي جاءت من بعده والنشاط المعجمي في الأندلس يمثل فرعًا من فروع الثقافة التي تجلى فيها تأثير المدرسة القالية وتوجيهها.

ثانيًا: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي[1]: (٩٨٩ / ٧٢٩)

أ ـ نشأته، ب ـ مؤلفاته.

أ ـ نشأته:

هو عربي الأصل يعود إلى اليمن، ونسبته إلى زبيد، وهي قبيلة كبيرة في اليمن. هاجر أهله إلى الأندلس واستوطنوا اشبيلية حيث كانت على الأرجح ولادته. طلب العلم أولًا في بلده ثم ارتحل إلى قرطبه ودرس فيها على قاسم بن أصبغ وعلى محمد ابن يحيى الرباحي[2].

وعندما أخذ الحَكَم باستقدام العلماء، كان الزبيدي ممن استدعاهم للاستفادة منه. ثم جاء القالي، فأقام الزبيدي بني يديه يملأ ما فاته من ثقافة. وأول الكتب التي رواها عن القالي كان كتاب النوادر والذيل وفعلت وأفعلت، وكتاب تفسير القصائد

---

(١) ترجمته في: جذوة المقتبس: ٤٣، تاريخ ابن الفرضي، ٢: ٩٢.
انباه الرواة، ٣: ١٠٩، معجم الادباء، ١٨: ١٨٠. الوافي بالوفيات ٢: ٣٥١، بروكلمان ٢: ٢٨٠ (ت عربية).

(٢) وفيات الاعيان: ٤: ٨، انباة الرواة ٣: ١٠٩ معجم الادباء ٧: ٣٠.

والمعلقات وتفسير اعرابها، كل ذلك من تأليف القالي[1].

ليس في المصادر روايات تستمد منها أحكامًا على شخصية الزبيدي إلا أن غيرته على اللغة شيء تشهد به مؤلفاته نفسها ودقته الصارمة التي استوعبها من مرافقة القالي حتى قيل فيه: «كان أوحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة وأخبر أهل زمانه بالاعراب والمعاني والنوادر»[2].

ب ـ مؤلفاته:

له مؤلفات كثيرة في النحو واللغة، وقد وصلنا من كتبه المهمة ثلاثة:

١ ـ كتاب مختصر العين[3]: كان هذا الكتاب من الكتب التي يتنافس فيها أهل الأندلس لأنه «اتممه باختصاره وزاد فيه ما عساه كان مفتقرًا إليه»[4] وقد ألّفه للحكم فنال اعجابه. وما صنعه الزبيدي في هذا الكتاب أنه حذف المواد المشكوك بأمرها، ووضع المادة في موضعها الصحيح، كما حذف المصادر والأفعال المضارعة واختصر ما في العبارات التفسيرية من طول.

---

(١) انباه الرواة، ٣: ١٠٩.

(٢) جذوة المقتبس: ٤٥ والمصادر الأخرى.

(٣) من هذا الكتاب نسخة في مجلد واحد في الرق بخزانة القرويين في فاس ١٢٤٦ - ١٢٤٧ (مجلة معهد المخطوطات ٥: ١٥).

(٤) معجم الأدباء، ١٨: ١٨١.

٢ ـ الانتصار على من أخذ عليه في مختصر العين[١] : لم تذكر لنا المصادر شيئًا عن هذا الكتاب.

٣ ـ المستدرك من الزيادة في كتاب البارع لأبي علي البغدادي. رواه عنه عبادة بن ماء السماء[٢].

كذلك لم تورد لنا المصادر أية معلومات اضافية عن هذا الكتاب سوى اسمه ومن رواه.

٤ ـ استدراك الخطأ الواقع في كتاب العين[٣] وأمثلة على ذلك: باب هَمَعَ، الهَيْمَع: الموت. والصواب الهَمْيَغ (بالغين). باب قَفع، القفاعي من الرجال: الأحمر وهو غلط، والصواب فقاعي الذي لا يخالط حمرته بياض. باب عنك، عرق عانك: أصفر. والصواب: عاتك[٤].

٥ ـ الانتصار للخليل فيما رد عليه في العين:

يرد الزبيدي على الذين أوقعوا الخليل في الخطأ فيبني أن ما وقع في العين من خطأ لا يمكن أن يقع فيه الخليل.

«ولو أن الطاعن علينا يتصفح صدر كتابنا المختصر من كتاب العين لعلم أنا نزّهنا الخليل عن نسبة المحال إليه ونفينا عنه من

---

(١) لحن العوام: ٢٨ ـ فهرسة ابن خير: ٣١١.

(٢) فهرسة ابن خير: ٣١١.

(٣) وفيات الاعيان، ٤ :٧.

(٤) المزهر، ١٩٣ ـ ١٩٦.

القول ما لا يليق به »[1] وإن جميع ما وقع فيه من معاني النمو إنما هو مذهب الكوفيين، والخليل بصري فإلى ذلك اقتضت الإشارة.

٦ ـ الواضح في النحو[2]: هكذا سمّاه غير مصدر قيل فيه: « إنه مفيد جدًا »[3] شرع في شرحه ابن وليد النحوي فبلغ منه نحو النصف وتوفي قبل إكماله[4].

٧ ـ كتاب رسالة التقريظ، رواها عنه عبادة بن ماء السماء، لعلها رسالة الانتصار للخليل[5].

٨ ـ كتاب طبقات النحويين واللغويين[6]:

كان مصدرًا لغير مؤلف من الأندلسيين والمشارقة مثل ابن الفرضي والقفطي والسيوطي والمقريزي.

بيّن الزبيدي في مقدمة الكتاب أنه ألّفه بأمر من الحكم المستنصر. أما المنهج الذي اتبعه فيه فهو الترجمة لعلماء اللغة والنحو بحسب التسلسل الزمني. قسم كتابه طبقات فجعل النحويين الكوفيين في عشر طبقات ثم أورد بعدهم النحويين البصريين في ست طبقات. وقد اعتبر المصدر الوحيد لتراجم اللغويين والنحويين

---

(١) المصدر نفسه: ٤٠.

(٢) من هذا الكتاب نسخة بالاسكوريال (انظر بروكلمان ٢: ٢٨٠).

(٣) وفيات الاعيان، ٤: ٧.

(٤) فهرسة ابن خير: ٣١١.

(٥) فهرسة ابن خير: ٣٥١.

(٦) طبع في مصر سنة ١٩٥٤. ت محمد ابو الفضل ابراهيم.

الأندلسيين حتى منتصف القرن الرابع الهجري.

٩ ـ الإستدراك على سيبويه: نظر الزبيدي إلى لغة الناس من حوله فأحسّ أن هناك فارقًا ما بين لغتهم واللغة الفصيحة، فأراد أن يبين هذه الأخطاء ويصلحها.

ولسنا في موضع الوقوف عند تفاصيل الكتاب وما يحتويه. نترك ذلك لمن طلب البحث في أمور اللغويات وخصائصها لكن ما يهمنا هو بعض النماذج التي ترسم لنا صورة عن مدى العلاقة اللغوية بولادة المعاجم.

من هذه الأمثلة: تقصّى الزبيدي في ألفاظ العامّة أنواعًا من الخطأ.

١ ـ خطأ لياقة: ويتمثل لنا ذلك في المثال التالي: «ومن ذلك قولهم: هو الله الأزلي قبل خلقه، ولم يزل واحدًا في أزليته، وكان هذا في الأزل. قال الزبيدي: وذلك كله خطأ، لا أصل له في كلام العرب. وإنما يريدون المعنى الذي في قولهم: لم يزل عالمًا ولا يصح ذلك في اشتقاق ولا تصريف»[1].

٢ ـ خطأ لغوي، ومثاله: «وكذلك قولهم فيه تبارك وتعالى: هذه صفة ذاته، وهو مباين بالذات.

قال محمد: ولا يجوز أن يلحق الألف واللام ذو ولا ذوات في حال افراد ولا تثنية ولا جمع، ولا تضاف إلى المضمرات وإنما تقع

---

(١) لحن العوام: ١١.

أبدًا مضافة إلى الظاهر، ألا ترى أنك لا تقول: الذو ولا الذوّان ولا الذّون ولا الذات ولا ذوك ولا ذوه ولا ذوهما ولا ذوهن ولا ذواتها. ولا تقول مررت بذاته ولا بذاتك. وقد غلط في ذلك أهل الكلام »[1].

٣ ـ خطأ كتابي ومثاله: « ويقولون لضرب من الشجر دغلة.

قال محمد: والصواب دفلى، على مثال فعلى، والألف للتأنيث »[2].

٤ ـ خطأ ناتج عن زيادة حرف، ومثاله: « ويقولون سمعنا الآذان.

قال محمد: والصواب الأذان على وزن فعال... »[3].

٥ ـ خطأ ناتج عن تغيير حركة احد الأحرف، ومثال: « ويقولون لما بيع من المتاع سَلعة ».

قال محمد: والصواب سِلعة بكسر أوله... »[4].

٦ ـ خطأ ناتج عن قلب حرف وحذف آخر ومثاله: « ويقولون لبعض الفئوس التي يقطع بها الخشب شقور بالشين ».

قال الزبيدي: « والصواب: صاقور والجمع صواقير »[5].

---

(١) لحن العوام: ١٢.
(٢) المصدر نفسه: ١٩.
(٣) المصدر نفسه: ٤٩.
(٤) المصدر نفسه: ٤٩.
(٥) لحن العوام: ٩٧.

٧ ـ قلب حرف واحد ومثاله: « ويقولون لما طحن من البر وغيره غليظًا دشيش » قال الزبيدي: « جشيش (بالجيم) وهو طحن كالهرس »[١].

والأمثلة على هذا القلب كثيرة في الكتاب[٢].

وينال أبو علي القالي، استاذ الزبيدي وصديقه، أكبر نصيب من عناية المؤلف: إلّا أن شخصية الزبيدي تمتاز بالأصالة وهو ليس كأستاذه القالي مختبئًا وراء اللغويين والأعراب، بل يفاضل ويقترح الحلول. فكتاب لحن العوام ليس صورة لإحاطة الزبيدي وصبره على الجمع والتنسيق وحسب، إنما هو ذخر لمن شاء أن يتصور المدى الذي بلغته اللغة في الأندلس من الخضوع للتغيير والتبديل في النطق، وواضح أن الأخطاء الكثيرة التي عدّها الزبيدي إنما تؤخذ سماعًا لا كتابة وإن أصرّ في مقدمة كتابه على أنه يتحدث عن أخطاء الخاصة. وكثير مما عدّه الزبيدي خطأ لا يزال دارجًا في لهجات المشرق حتى اليوم ولم يقتصر على الأندلس، فالناس اليوم في الاستعمال العام يقولون: بكرة (بفتح الكاف) لا تسكينها، ورقوة (بدلًا من رقية)، وقرايا (في جمع قرية)، وسكرانة (بدلًا من سكرى) والغيرة (بكسر الغين) والجبس (بدلًا من الجص).

هكذا نجد أن الظروف اللغوية هيأت الحاجة بالحاح في الطريق الصواب على الأقل.

---

(١) لحن العوام: ٢٠ ـ ٢١.
(٢) المصدر نفسه: ١٥٨ ـ ١٦٨ ومواضع أخرى كثيرة.

تلك كانت إشارة لما كان للزبيدي من دور في عملية البناء الثقافي، وهو بحق كنز لمن أراد أن يتحقق من المدى الذي بلغته الثقافة في الأندلس. ونظرًا لأهمية هذا الكنز، نوّهنا بأهمية هذا العالم، ونترك لطالبي التخصص في الدراسات اللغوية المجال للوقوف عند التفاصيل. ويبقى في هذه الفسحة الكلام على التلميذ الآخر للقالي وما له من دور على هذا الصعيد هو ابن القوطية.

ثالثًا: ابن القوطية: ٣٦٧ / ٩٧٨

أ ـ نشأته، ب ـ مؤلفاته.

أ ـ نشأته:

هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى ابن مزاحم[١]. يعرف بابن القوطية، وهو لقب يرى بعض أصحاب التراجم انه ورثه عن جدة اسبانية من أهل الأندلس الأصليين[٢].

أما نشأته فليس لدينا الكثير عنها. ولعله ولد في اشبيلية ونشأ فيها لأن له أساتذة من الاشبيليين[٣].

كان اهتمام ابن القوطية الأول منصبًا على اللغة. وقد اتفقت المصادر على أنه كان مبرزًا في نواحي العلوم الأخرى من رواية

(١) ترجمته في: تاريخ ابن الفرضي ٢ :٧٨، جذوة المقتبس: ٧١.
الديباج المذهب: ٢٦٢، انباه الرواة، ٣ :١٧٨.
وفاته الاعيان، ٤ :٤، معجم الادباء، ١٨ :٢٧٢.

(٢) وفيات الاعيان، ٤ :٥ ـ ٦.

(٣) المصدر نفسه، معجم الادباء ١٨ :٢٧٥.

شعر وخبر ومعرفة بسير الملوك والأمراء[1].

ب ـ أهم مؤلفاته:

١ ـ شرح رسالة أدب الكتاب: لم يتجاوز ابن القوطية في شرحه مقدمة ابن قتيبة، ومن هذا الكتاب أيضًا جزءًا مختصرًا[2].

٢ ـ المقصور والممدود: «وقد جمع فيه ما لا يحدّ ولا يوصف، ولقد أعجز من يأتي بعده وفاق من تقدمه»[3].

٣ ـ الأفعال: ويسمى في بعض المراجع «تصاريف الأفعال»[4]، وموضوعه البحث عن صيغتي فعل وأفعل سواء اتفقتا في المعنى أو اختلفتا. سنتناول تفصيل ذلك في القسم الذي يدور الشرح فيه حول معاجم الأفعال.

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

القسم الأول لما فيه فعل وأفعل[5].

القسم الثاني لما فيه أفعل وحدها[6].

القسم الثالث لما فيه فعل وحدها[7].

---

(١) المصدر نفسه ٤ :٤.

(٢) فهرسة ابن خير: ٣٤٤. معجم الادباء، ١٨ :٢٧٥.

(٣) وفيات الاعيان، ٤ :٤، معجم الادباء، ١٨ :٢٧٥.

(٤) تاريخ ابن الفرضي، ٢ :٧٩. معجم الادباء، ١٨ :٢٧٥. فهرسة ابن خير: ٣٥٥.

(٥) الأفعال، ابن القوطية: ٩ ـ ١٦٢.

(٦) الأفعال، ابن القوطية: ١٦٣ ـ ١٧٥.

(٧) الأفعال، ابن القوطية: ١٧٦ ـ ٣٠٤.

لكتاب الأفعال خطوط عريضة، يمكن ان نصفها بأنها متسقة ومنسجمة. لاقى شهرة واسعة وامتدحه اصحاب التراجم والمؤرخون فجاء في أنباه الرواة: « ولد كتاب في الأفعال لم يؤلف مثله »[1].

---

(١) انباه الرواة: ٤٥، ١٢٤.

رابعًا: عبدالله بن محمد بن السيد: (٤٤٢ - ٥٢٢ / ١٠٤٨ - ١١٢٧)

أ ـ نشأته:

ولد في بطليوس وانتسب إليها[١]، وتوجّه بعد ذلك إلى قرطبة ثم فرّ إلى بلنسية ومكث فيها حتى وفاته[٢]. درس على أخيه علي بن محمد ثم كان له غير استاذ. عرف عنه أنه كان حسن التعليم جيد التلقين. امتدحه كثيرون وقالوا إنه الإمام المشهور في اللغة العربية.

ب ـ مؤلفاته:

كثيرة: نقف على الناحية المعجمية فيها والتي ذكرنا عددها في موضع سابق في هذه الدراسة.

المثلث في اللغة:

« يقع في مجلدين أتى فيه بالعجائب ودل على اطلاع عظيم فاق مثلث قطرب في كراسة واحدة، واستعمل فيه الضرورة وما لا

---

(١) ازهار الرياض: ٣/١٠٥.

(٢) انباه الرواة ٢ :١٤٢.

يجوز، وغلط في بعضه[1] ».

هو من كتب المثلثات، صنّفه ابن السيِّد على حروف المعجم. كما صنف المفردات داخل كل حرف في قسمين. وسمى الحرف بابًا، فصار منهجه كما يلي:

١ ـ قسّم كتابه إلى أبواب وفق الحروف.

٢ ـ جعل كل باب في قسمين:

أ ـ الواحد لما اتفقت معانيه.

ب ـ والآخر لما اختلفت معانيه.

مثال على ذلك: حرف التاء:

باب المثلث المتفق المعاني. كلمة يقال: أبي قائلها: لا تَما وتِما وتُما قال الراعي يصف ابلا:

حتى وردن لتِمِّ خمس بائص جُدا تعاوره الرياح وبيلا

باب المثلث المختلف المعاني. وهو ست كلمات. التَّرب والتِّرب والتُّرب. التَّرب بفتح التاء مصدر تربت الرجل إذا ضربت ترائبه وتربتُ الكتاب إذا وضعت عليه ترابًا. والتِّرب بكسر التاء اللدة. والتُّرف بالضم التراب...

---

(١) شذرات الذهب ٤: ٦٥.

خصائص الكتاب: يمتاز الكتاب بجملة خصائص نوجز منها:

١ ـ وفرة التحقيقات النحوية.

٢ ـ الاستشهاد بالشعر القديم والقرآن والحديث.

٣ ـ التمثل بأقوال اللغويين.

وتبقى شخصية المؤلف واضحة، إذ إنه لا يكتفي بالنقل بل يناقش الآراء ويرجح منها ما يراه موافقًا لقواعد اللغة.

خامسًا : ابن سيده: ٣٩٨ / ١٠٠٨ - ٤٥٨ / ١٠٦٦ [١]

أ ـ نشأته ، ب ـ مؤلفاته .

أ ـ لم يذكر المؤرخون صراحة اسم البلد الذي ولد فيه. غير أن اصحاب التراجم قد اتفقوا على أنه من أهل مرسية. أما الأخبار عنه فإنها قليلة لا تتناسب مطلقًا مع الشهرة الواسعة التي نالها. والواقع أنه ابن بيئة مثقفة[٢]. إلا أن العاهة التي لازمت شخصيته هي « العمى ». فقد ولد كفيف البصر لأب كفيف[٣] ولعل هذه الناحية كان لها أثر واضح في تكوينه العقلي وقوة ذاكرته حتى قيل فيه ، إنه كان « نادرة وقته »[٤] .

ولا نعرف بالضبط ما لهذا الكلام من جدة ، لأن الرواية بهذه الصورة غير وافية بالغرض ، وهي رواية لم تتكرر عند غيره من العلماء .

---

(١) انباه الرواة : ٢/٢٢٧ .
(٢) شذرات الذهب ٣/٣٠٥ .
(٣) نفح الطيب : ٤/٣٥١ .
(٤) طبقات الأمم : ٧٧ .

وأوضح مرحلة في حياته هي تلك التي اتصل فيها بمجاهد العامري، يحاول أن يخفف من نقمة الناس عليه بلجوئه إلى حضن الأمير؛ فقد كان يغيظه أن يجد الناس منعمين بالقيان والجنان وهو محروم منها. ويبدو أن انقطاعه إلى مجاهد أفاده من الناحية العلمية إذ أتاح له في التأليف فأبدع في اللغة خصوصًا في مؤلّفَيه «المخصص والمحكم». ويبدو أن ابن سيده مات مفلوجًا في دانية سنة ٤٥٨ / ١٠٦٦)[١].

ب ـ مؤلفاته:

اهتم ابن سيده بالشعر والعلم اهتمامه بالنحو واللغة. واعتنى بأمر الفلسفة والمنطق ولم يترك في هذا الشأن بابًا إلا طرقه[٢].

في هذه التربة إذًا، ولد المعجم العربي الأندلسي وإن تأخر ظهوره قليلًا عن صنوّه في المشرق إلا أنه تقرّر بخصائص مهمة نستعرضها في الفصل التالي.

---

(١) الصلة: ١٠٥.

(٢) إرجع في هذا المؤلف الى لائحة المؤلفات والمؤلفين وسنضيء بعض جوانب حياته في كلامنا على معجميه.

الفصل الثاني
المعاجم الأندلسية

كانت ولادة القاموس العربي على يد البغدادي أبو علي القالي الذي توفي قبل أن يضع لمساته الأخيرة على كتابه الموسوعي: « البارع في اللغة ».

ثم ألّف الزبيدي « مختصره » الشهير، وتوالت الدراسات والأعمال، وذهب المعجم الأندلسي مذاهب شتى ودخل في غير مدرسة واتجاه سنعرض لها في سياق حديثنا ونحن نتبع تصنيفاً لهذه المعاجم بحسب المناهج التي اتبعت في تأليفها وليس بحسب تاريخ كتابتها، لكي يتبين للقارئ ما يختص به كل معجم بمفرده.

مدرسة العين: تدور بوادر الحركة المعجمية في الأندلس في فلك المعجم العربي الأول، كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي كان له الأثر الواضح في نشاط الأندلسيين. ويعود الفضل في هذه المسألة إلى أبي بكر الزبيدي[1]، الذي يذكر في موضع آخر من طبقاته أن أحمد بن بشر بن الأعبس (ت

(١) طبقات النحويين واللغويين: ص ٢٨٤.

٣٢٦ / ٩٣٧) وعبد الملك بن شهيد (جد أبي عامر الشاعر) قد تمالآ على عفير بن مسعود (ت ٣١٧ / ٩٢٨) واستخرجا من كتاب العين حروفًا مهملة، ونسخا عن ذلك أوراقًا خاصة، ولقياه بالكتاب، وأغربا به عليه[١].

ودافع الزبيدي عن الخليل بكل ما أوتي من جهد وعقل. حاول ذلك في «مختصر العين» في «المستدرك في اللغة»، وجمع ما لديه من براهين عقلية وأدلة نصية وأودعها رسالته المعروفة بعنوان «استدراك الغلط الواقع في كتاب العين»[٢]. وقد أشرنا إلى أمثلة عن محتوى الكتابين في عرضنا لأهمية الزبيدي في مسيرة الثقافة الأندلسية.

وذهب بعض الباحثين المحدثين[٣] الى القول بأن أستاذ الزبيدي أبو علي القالي، كان رأيه مشابهًا وفق نص أورده السيوطي نقلًا عن الزبيدي: «وحدثنا اسماعيل بن القاسم البغدادي قال: لما ورد كتاب العين من بلد خراسان في زمان أبي حاتم انكره أبو حاتم وأصحابه أشد الإنكار ودفعه بابلغ الدفع...» ويتابع المصدر قوله: «وكيف لا ينكره أبو حاتم على أن يكون بريئًا من الخلل، سليمًا من الزلل. وقد عبّر أصحاب الخليل بعد مدة طويلة لا يعرفون هذا الكتاب ولا يسمعونه؟..» إلى أن يقول: «ومن الدليل على

---

(١) طبقات النحويين واللغويين: ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٢) ناقش أدلة الزبيدي بعض الدارسين، منهم عبدالله درويش في (المعاجم العربية) وحسين نصار في (المعجم العربي) ونعمة رحيم العزاوي في (ابو بكر الزبيدي).

(٣) منهم عبدالله درويش، وحسين نصار في كتابيهما المذكورين.

صحة ما ذكرناه، أن جميع ما وقع فيه من معاني النحو هو على مذهب الكوفيين وبخلاف مذهب البصريين... »[1].

وباختصار، ليس لدينا ما يثبت بالنص أن القالي كانت له وجهة نظر واضحة في الموضوع، ولا سيا أنه نقل عن الخليل حين وضع كتابه البارع، منهجه في التأليف ومادته اللغوية حتى ظن البعض أن البارع ما هو إلا نسخة عن العين، مستعملًا في ذلك عبارته قال الخليل، وهو ما جعل عبدالله درويش يشك في صحة ما نسب للقالي[2].

ومهما تكن آراء الأندلسيين في كتاب العين وصاحبه، فإنه حظي منهم بالعناية التي لم ينلها كتاب آخر في الميدان المعجمي. كما انه من الثابت أيضًا أن القالي أحيا مدرسة العين في الأندلس ونسج على منوال كتاب الخليل معجمه الكبير البارع في اللغة.

ثم ظهرت اتجاهات كثيرة في تنظيم المعجم الأندلسي، وبدأ التفكير في أبنية اللغة وكان سيبويه « أول من ذكرها وأوفى من سطرها »[3]؛ فقد أفرد لها في كتابه أبوابًا جمع فيها ما عرفه من أبنية اللغة العربية وقسّمها تقسيمًا كمّيًا مع فصل أبنية الأسماء عن أبنية الأفعال، وذكر للأسماء « ٣٠٨ » بناء، بين ثلاثي مجرد ومزيد ورباعي مجرد ومزيد[4]. وأهم ما ألّف، في هذا المنحى، في

---

(١) المزهر ١/٨٣ ـ ٨٤.

(٢) درويش، عبدالله: المعاجم العربية: ص ٥٥ ـ ٥٦. الرسالة. ١٩٥٦.

(٣) أبنية الأسماء لابن القطاع ورقة « ٢ ».

(٤) سيبويه ج ٢/٣١٥ ـ ٣٣٠ ـ ٣٣٣ ـ ٣٤٠.

الأندلس «الغريب المصنف»[1] لأبي عبيد. «وإصلاح المنطق» لابن السكيت «والمنتخب»[2] لكُراع النمل.

وتفرّع الاتجاه المعجمي واتخذ لذلك شكلين: واحدهما اهتم بأبنية الأسماء والأفعال جميعًا فعرّفناه باسم: المعاجم التامة. والثاني وجّه عنايته لأبنية الأفعال فقط فعرّفناه باسم: «معاجم الأفعال».

---

(١) ما يزال مخطوطًا.

(٢) ما يزال مخطوطًا.

أولاً : المعاجم التامة *

المعجم الأول : البارع في اللغة

أولًا : نظرة عامة :

وصف ابن خير الاشبيلي كتاب البارع بأنه يقع في مئة وأربعة وستين جزءًا فيضم ما يقارب ٤٤٤٦ ورقة[1]. غير أن يد الدهر الشريرة مزقته، ولم يسلم منه سوى قطعتين صغيرتين لا يتجاوز مجموعها مائة وأربعين ورقة مخطوطة[2].

وفي جملة ما ضاع منه، كانت مقدمة الكتاب؛ لذلك ليس بين أيدينا نص واضح نعتمد عليه لمعرفة سبب إقدام القالي على تأليف هذا المعجم الكبير، سوى أن نفترض :

أ ـ بناءً على طلب واضح من الحكم المستنصر وبتشجيع منه على الأقل.

(*) ونقصد بالمعاجم التامة : المعاجم التي تناولت أبنية الأسماء والأفعال بالمعالجة.

(١) فهرسة ابن خير : ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٢) القطعة الأولى من الكتاب موجودة في المتحف البريطاني رقم ٥٢٠٩٨١١. وقد نشرها المستشرق (فولتون) سنة ١٩٣٣ في لندن وهي مصورة. والثانية بالمكتبة الوطنية في باريس.

ب ـ سدّ فراغ في المكتبة المعجمية في الأندلس، كان القالي أول من تحسس ذلك وهو يقوم بمهام التدريس. وبأية حال لم يكن العمل أمرًا يسيرًا، بل كان يحتاج إلى مجهود عظيم. قال القفطي وهو يترجم للقالي في إنباه الرواة[1]. «وشوهد بخط ولده ما مثاله: ابتدأ أبي ـ رحمه الله تعالى ـ بعمل كتاب «البارع» في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة (٩٥٠ م.)، ثم قطعته علل وأشغال، ثم عاود النظر فيه بأمر من أمير المؤمنين وتأكيده له، فعمل فيه من سنة تسع وأربعين وثلاثمائة (٩٦٠ م.)، فأخذه بجد واجتهاد، وكمل به، وابتدأ بنقله فكمل لنفسه إلى شوال سنة خمس وخمسين وثلاثمائة (٩٦٦ م.) كتاب الهمز، كتاب الهاء، كتاب العين، ثم اعتل في هذا الشهر».

وقد مات القالي بعد ذلك بأشهر قليلة. وعلى الرغم من هذا الكلام، يصعب التحقق بدقة من الزمن الذي استغرقه تأليف هذا الكتاب.

إنما نستطيع القول إنه عمل فيه ستة عشر عامًا، لم يعمل فيها بصورة متواصلة وإنما قطعته في أثناء ذلك «علل وأشغال» وعاجله المرض فلم يسمح له بنسخ ما عمله وتهذيبه فتولاه وراقان ممن كان يسعد القالي في اعمالها. أحدهما محمد بن الحسين الهري، عمل على مساعدة القالي في هذا المشروع منذ عام ٣٥٠ / ٩٦١، والآخر: محمد بن عمر الجياني. تعاونا فاستخرجا المادة من الصكوك والرقاع،

---

(١) إنباه الرواة: ١/٢٠٩.

وهذبا الأصول حتى تمَّ الكتاب بين يديها فرفع عندئذ إلى الحكم المستنصر الذي رعى المشروع وشجعه منذ البداية[1].

وامتدح الناس الكتاب وأقرّوا بعظمته غير أنهم لم يميلوا إليه ولم يألفوه فضاع أكثره كما رأينا.

ثانيًا: منهج الكتاب:

حاول القالي أن يرتب معجمه بحسب منهج «العين» الذي كان معروفًا عند الناس.

تابع البارع إذًا من حيث المبدأ كتاب الخليل في نظامه الصوتي. غير أنه خالفه بالتقديم والتأخير في ترتيب الحروف وفق هذا النظام. وكما يستنتج من القطعة المتبقية من هذا الكتاب يمكن ترتيب الحروف كما يلي: هـ، ح، ع، خ، غ، ق، ك، ض، ج، ش، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و، ا، ي[2].

أما حرف الهمزة فقد كان مكانها موضع خلاف ويرى فولتن «كذلك ليس لدينا أي شاهد مخطوط عن موضع الهمزة ذلك الصامت الذي سبب كثيرًا من المتاعب للقدماء من النحويين واللغويين في تحديده، ولا شك في أن القالي تناوله في بداية الألفباء أو في فصل خاص في النهاية، وهو لا يضع الألفاظ التي تحتوي على

---

(١) فهرسة ابن خير: ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٢) المستشرق (فولتن Falton) في تقديمه للقطعة التي نشرها بطريقة التصوير: ٨.

هذا الصامت بين الأصول المعتلة من الكتاب، كما فعلت معاجم الخليل والأزهري وابن سيده[1] ».

ولكن الذي يرجع الى (المقصور والممدود) الذي الفه القالي قبل كتاب البارع، يرى أن الترتيب الذي اتبعه فيه يبطل ما ذهب إليه « فولتن ». فقد نص ابو علي في كتابه الأول أنه سلك التسلسل التالي: (الهمزة، هـ، ع، ح، غ، خ، ق، ك، ض، ج، ش، ي، ل، ر، ن، ط، د، ث، ص، ز، س، ظ، د، ت، ف، ب، م، و).

ونص على انه لم يجعل للألف مكانًا[2]. وبناءً على ذلك، من المفروض أن يكون ابو علي القالي قد طبق الترتيب نفسه في كتابه الثاني (البارع في اللغة) والذي يؤيد ما نذهب إليه هو شهادة ولد القالي التي سبق ذكرها، وفيها يقول عن البارع: « فكمل لنفسه الى شوال سنة خمس وخمسين وثلاث مائة، كتاب الهمز، وكتاب الهاء، وكتاب العين »[3]. وذلك يدل على أن الأحرف الثلاثة الأولى ـ على الأقل ـ كانت في البارع مرتبة على طريقة « المقصور ».

ثم اخذ القالي بالمبدأ العام الذي نحا عليه الخليل في تبويب المعجم، بحسب الأبنية الأساسية الأربعة هي: الثنائي، الثلاثي، الرباعي، الخماسي[4].

---

(١) المصدر نفسه: ٨ وانظر المعجم العربي: ٢٨٩.

(٢) مقدمة المقصور والممدود. ص ١٠ ـ المخطوطة المغربية.

(٣) إنباه الرواة ١/٢٠٩ وانظر التكملة ١/٣٧١.

(٤) لم يرد شيء من الخماسي بين الورقات الباقية من الكتاب ولكن تعليقات الزبيدي في كتاب (المستدرك في اللغة) تدل على ان القالي لم يغفل في كتابه هذا البناء.

الخليل : - ع ح هـ ح غ	ق ك	ج ش ض	ص س ز	ط د ت	ظ ذ ث
القالي : - هـ ح ع خ غ	ق ك	ض ج ش	ل ر ن	ط د ت	ص ذ س

٧	٨	٩
ر ل ن	ف ب م	و ا ى
ظ ذ ث	ف ب م	و ا ى

وبمقارنة الترتيبين يمكن معرفة مدى ارتباطهما

ولكنه خالفه عند التطبيق في بعض الجزئيات الداخلية:

أ - جمع الخليل في باب الثنائي ما كان على حرفين خفيفين مثل: مَعَ، كم. أو على ثلاثة احرف شدد الثاني مهما مثل: شقَّ، عقَّ. أو أربعة احرف اثنان منها مكرران مثل: قَدْدَدَ[1].

أما القالي فإنه خصص باب الثنائي لما كان حرف منه مشددًا مثل: عَضَّ، عَبَّ. واطلق عليه اسمًا جديدًا يوافق مضمونه هذا، وهو: «الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة. لتشدد أحد حرفيه». ولو أنه دمجه في باب الثلاثي الصحيح بصورة عامة لربما كان أجدى وأنسب. ثم ألحق ابو علي الثنائي الخفيف المكون من حرفين أحدهما معتل بباب سماه «الحواشي».

وهو الباب الذي يقابل «اللفيف» عند الخليل. وألحق أيضًا ما جاء منه مكررًا مثل: تغ تغ، في باب «الأوشاب».

ولا ندري ماذا صنع القالي بالثنائي الخفيف المؤلف من حرفين صحيحين مثل: بلْ، هَلْ، مع، عن... الخ، إذ لم نجد كلمة من هذا النوع في الأبواب التي بين ايدينا من الكتاب. فأبواب البارع بحسب التتابع هي: الثنائي في الخط، الثلاثي، الصحيح، الثلاثي المعتل، الحواشي، الأوشاب، الرباعي، الخماسي[2]، اللهم إن كان بدوره قد أدخل في باب «الأوشاب»، لأن من الثنائي المذكور ما

---

(١) درويش، عبدالله: المعاجم العربية، ص١٧.

(٢) المعاجم العربية: ص١٨.

هو دال على الزجر مثل: صَهْ، وما هو منقوص مثل: يَدٌ، دَمٌ، فَمٌ. ونعلم أن « الأوشاب » باب قد جعل للزجر وللمنقوصات كما سنرى.

ب ـ جعل الخليل باب اللفيف يختص بالكلمات التي تتضمن حرفين أحدهما معتل او ثلاثة أحرف منها حرفان معتلان[١].

أما القالي، فقد ألحق هذا الباب بالثلاثي المعتل، واطلق عليه اسمًا جديدًا هو « باب الحواشي »، قال: « هذه ابواب تختص بالثلاثي المعتل، مما جاء على حرفين أحدهما معتل، او ثلاثة منها حرفان معتلان، وسميناه باب الحواشي »[٢].

ومن امثلة ما جاء فيه من المواد: ها، واه. وقد أكّد الزبيدي هذه الحقيقة. فقال بعد أن ذكر « باب اللفيف »: « سمى اسماعيل هذا الباب: باب الحواشي »[٣].

جـ ـ ثم زاد ابو علي بابًا جديدًا على كتاب العين، وجمع فيه الفاظ الحكايات، والزجر، والاصوات والمنقوصات، وما اعتلّ عينه ولامه، أو فاؤه وعينه، أو كان فاؤه ولامه، أو فاؤه وعينه، أو لامه وعينه بلفظ واحد وسماه: « باب الأوشاب » وجعل مكانه في ترتيب الأبواب بعد الحواشي وقبل الرباعي.

---

(١) نصار، حسين: المعجم العربي ٢٤٩/١.
(٢) المستدرك للزبيدي: ١٩٧.
(٣) المصدر نفسه: ١٩٧.

وهكذا اصبحت مواد الثلاثي في هذا الكتاب موزعة على خمسة ابواب هي:

١ ـ الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة، مثل: جَدَّ ـ جَرَّ.

٢ ـ الثلاثي الصحيح.

٣ ـ الثلاثي المعتل.

٤ ـ الحواشي وهو اللفيف.

٥ ـ الأوشاب، كلمات ثلاثية اعتل فيها حرفان او تكرر حرف منها.

وفي كل باب من هذه الأبواب تتكرر عبارة «ومن مقلوبه» وهو النظام الذي يتيح للقالي، ولغيره من اصحاب هذه المدرسة في تأليف المعجمات، سبيلًا لاستقصاء تنقل كل حرف من نظامه في كل بناء من الأبنية[1].

ثانيًا: خصائصه: نستطيع أخذ صورة جلية عن خصائص المعجم إذا حللنا مادة من مواده.

مادة الجيم والشين والنون في الثلاثي الصحيح[2].

« قال ابو علي: قال يعقوب: يقال أتيته بعدما مضى جوشن من الليل.

---

(١) الامثلة متوفرة في مواد البارع المختلفة.

(٢) البارع: ١٢١ ـ ١٢٢.

قال ابن أحمر :

يضيء صبّيرهـــا في ذي حُبي   جواشـنُ ليـلـهـا بَيْنـا فَبينـا

أي قطعة من الأرض بعد قطعة، يعني البين والبين من البصر . قال ابو الحسن بن كيسان رحمه الله : الصبير الغيم الأبيض الشديد البياض. وقال ابو عبيدة: الجوشن الصدر. قال: وقال آخر بل الجوشن الوسط بفتح الجيم والشين وسكون الواو. وأنشد لرؤبة:

ونازح الماء   عريض الجوشن.

قال : الجوشن هو الوسط. وقال الخليل: الجوشن ما عرض من وسط الصدر، وجوشن الجراءة ونحوها صدرها، والجوشن من المسلاح ».

ويتابع ابو علي في المادة نفسها بصورة مقلوبة قوله: « قال ابو حاتم: يقال: نشج ينشج نشيجًا على مثال: فعل، يفعل فعيلا بفتح الفاء والعين في الماضي وكسر العين في المستقبل وفتح الفاء وكسر العين في المصدر.

وقال ابو زيد : النشيج اشد البكاء .

وقال الاصمعي: النشيج بالحلق، وهو هاقة تأخذ بالنفوس، وهي ارتفاع النفس مثل الفؤاد. قال ابو ذؤيب:

لهن نشيـج بـالنشيـل كـأنها   ضرائر حرمي تفاحش غارهـا

وقال الخليل: نشج الباكي ينشج نشيجًا وهو اذا غص البكاء في حلقه ولمّا ينتحب. والحمار ينشج بصوته نشيجًا وهو صوت في

حلقه عند الفزعة. والطعنة تنشج عند خروج الدم تسمع لها صوتًا كالنفخة، فإذا كان ذلك قلت نشجت الطعنة. والقدر تنشج عند الغليان. وقال الشاعر:

« وناشج عينه منهلة تكف »

بعد هذا العرض، نستنتج الخصائص الآتية:

١ ـ يشعر القالي بالإطمئنان حين يكثر النقل عن كبار اللغويين. ففي هذا الجزء من المادة لا نكاد نجد لفظًا من اللغة غير منسوب لواحد من امثال ابي عبيدة وابي حاتم ويعقوب وابن السكيت وابي الحسن بن كيسان والخليل وابي زيد والاصمعي، فضلًا عن الاسماء الأخرى في غير مادة كابن الاعرابي والنضر بن شميل، والباهلي، وابن دريد، والفراء، وثعلب والزجاج والرياشي والرزاحي وقطرب والأموي واللحياني وسواهم من المشهورين والمغمورين. مع الاشارة الى القرآن والحديث والشعر والامثال والحكم والخطب. وهذا من الخصائص التي لاحظها ايضًا القدماء وميزوا بها هذا المعجم عن العين.

وقال الزبيدي: « وجمع فيه كتب اللغة، وعزا كل كلمة الى ناقلها من العلماء، واختصر الاسناد عنهم »[1].

وفي الصدد نفسه قال ابن خير: « مما وقع في العين مهملا، فأملاه مستعملًا، ومما قلّل منه الخليل، فأملي فيه زيادة كثيرة، ومما

(١) الطبقات: ١٨٦.

جاء دون شاهد، فأملَّ الشواهد فيه »[1].

٢ ـ ومما ذكرناه سابقًا في المادة نفسها يظهر لنا بوضوح حرص أبي علي الشديد على ضبط المواد عن طريق التنصيص بالعبارة، غير مكتف بالحركات والشكل منعًا للإلتباس. يتمثل هذا الحرص في ظاهرتين، الأولى: النص على حركة الحرف كتابة، والثانية: النص على الوزن. وتلك ميزة حميدة لم يكن الخليل قد اصطنعها من قبل[2].

٣ ـ كما يظهر لنا حبه لرواية الشعر والاستشهاد به. وقد تجاوز في غير حين حد الاستشهاد الى ايراد مقطوعات قصد بها الامتاع والأخبار[3].

٤ ـ تفسير الألفاظ التي ترد في النصوص وبخاصة عندما يشعر أن هناك لفظة يصعب فهمها فيعمد الى شرحها[4].

٥ ـ ينقل عن اللغويين بعض لغات العامة.

---

(١) ابن خير: ٣٥٤.

(٢) نصار، حسين: المعجم العربي ٢/٤٨٦.

(٣) فهو حين يتحدث عن مادة: الجيم والشين والراء في الثلاثي الصحيح وعن تقاليبها يقول: (البارع ١١٩).

« ... وقال ابو زيد الشريجان الخلطان وانشد لقطبه بن أرومة:

عفا الرسم فاللعباء من ام عامر فشرك فأحس واسط فمنيم

عفت غير حقب ترتعي اخدرية شريجان منها واضح وبهيم

فهاجت عليك الدار مالو ترومه لعهد الصبا لم تدر كيف تروم

(٤) انظر: البارع: ٣.

ففي مادة: الجيم، الشين والراء في الثلاثي الصحيح: « مقلوبة: قال ابو حاتم: « العامة يقولون الشجر بكسر الشين وهو لغة والجيد الفتح كما يقرأ في القرآن الكريم: ﴿ **والنجم والشجر يسجدان** ﴾[1] .

٦ - اعتناؤه بلغات القبائل العربية ولهجاتها من جهة، وبالعامي والفصيح من اللفظ من جهة أخرى. فهو ينقل كلام الكلابيين، ويحكي عن القيسيين، وأهل الطائف، ولغة اليمن وكلام أهل الحجاز وأهل البصرة والعراق والشام والبدو والحضر، والأمثلة على ذلك متعددة في ثنايا الكتاب، ولا يخفي ما لهذه النقطة من أهمية في دراسة التطور التاريخي للألفاظ العربية. وما صاحب ذلك من تطور دلالي، ولغة كل شعب كما هو معلوم هي مفتاح حضارته. زد على ذلك أن القالي قد اهتم أيضًا بلغة العامة وأهل الحواضر. فهو يحكي لنا مثلًا أن أهل السواد كانوا يسمون مفاخر الديار في الزارع (بالأواخي) وأن طيرًا من الطيور المائية في العراق كان يسمى عندهم (الواقة)[2].

٧ - إيراده الأقوال المختلفة للغويين بغير مناقشة أو تشذيب، جعل التفسيرات تتراكم واحدًا جنب الآخر من دون تعليل. والواقع أن شخصية القالي ضعيفة لا تحس بها إلا من وراء ستار، فأدى ذلك إلى أن يكون معجمه أقرب إلى الجمع.

---

(١) انظر البارع: ١١٩ - ١٢٠. والآية هي رقم ٦ من سورة الرحمن.

(٢) نصار، حسين: المعجم العربي ٤٨٦/٢

٨ - بنى جزءًا من كتابه على الرواية الشفوية وأخذ عن غير مؤلف من ذكر أسماء المؤلفين.

٩ - اهتمامه بالمعرب من الألفاظ، وما هو دخيل وأعجمي، فهو مثلًا، يحدثنا عن بقايا اللغة الحميرية العبادية في العراق، ومنها كلمة (شَشْقَل)[١] التي لهج بها صيارفتهم في تعيير الدنانير، وعن ارتباط لغة الروم بلغة الشام. فكلمة «البطريق» تعني القائد في لغة أهل الشام والروم معًا[٢] وما إلى ذلك من أمثلة كثيرة، إذ لا شك أن لغة الروم قد أثّرت بشكل واضح في أهل الشام بحكم الارتباط التاريخي.

ويلفتنا أيضًا بعض الكلمات الفارسية المعربة، كالنمرق والصولجان وكلمات سريانية «كقنطار» التي تعني عندهم مئة جلد ثور ذهبًا وفضة، وهي كذلك في لغة «بَرْبَرْ» تعني ألف مثقال من ذهب وفضة[٣].

وأمثلة أخرى على كلمات أرمينية:

«القرمز» بكسر القاف والميم، التي تعني صباغًا أحمر يتخذ من عصارة دود معين، وكلمات نبطية أخـرى. ثم اهتم أبـو علي اهتمامًـا

---

(١) البارع: ٩٧.

(٢) البارع: ١٠٤ وذكر الزبيدي (في المستدرك) فيما نقله عن القالي في (باب المعرب من الكلام الفارسي) أن كلًا من «البطريق» و«الفندق» لفظ فارسي الأصل.

(٣) البارع: ١٠١

خاصًا بالألفاظ الفارسية المعربة، فبعد أن نثرها في ثنايا الكتاب، ووزعها على الأبواب المناسبة لها، عاد وجمعها في معجم صغير ألحقه بآخر البارع وسماه (باب ما جاء معربًا من كلام الفرس) وهي زائدة على أبواب العين. وقد بدأ بالحاء، الهاء، الغين، القاف، الكاف، الجيم، الصاد، الراء فاللام الذي توقف الكلام عنده فجأة من دون أن يتم باقي الحروف الأخرى. على أن وضع القالي لهذا الباب في آخر معجمه، لم يكن القصد منه سوى تقريب المادة إلى متناوليها ولو أن في الأمر تكرارًا.

١٠ ـ على الرغم من الجهد الذي قام به القالي فهناك مواطن ضعف في الكتاب لعل أبرزها صعوبة البحث عن المواد في المعجم بسبب ذلك النظام العسير القائم على المخارج والأبنية والتقاليب. وقد أشار إلى مثل هذا الضعف غير عالم. كما لاموا معاجم أخرى اعتمدت الأسس نفسها. والاتهامات تنال كتاب البارع في نسب متفاوتة.

فالبارع واحد من المعاجم التي اتخذت مخارج الحروف والأبنية والتقاليب أساسًا لها. وثمة من يؤكد أن البارع ما هو إلا كتاب العين للخليل بن أحمد[1] حين قال: «وبهذا يكون البارع أقدم نسخة وصلت إلينا من كتاب (العين)، ولكنه مع هذا التطرف لم يأت بدليل. وغاية ما قال إنه حين قابل بين النصوص المنقولة في البارع عن الخليل وجد بينها تطابقًا «حذوك القذة بالقذة».

(١) الطعان، هاشم: مقدمة تحقيقه «للبارع» ص ٧ ـ نشره في بيروت سنة ١٩٧٥.

نقول هذا لأن القالي لم يأخذ عن العين وحده، بل لم يكن اسم الخليل إلا واحدًا من مجموعة الأسماء التي تتردد في كل صفحة من صفحاته. وهو ينقل عن كتاب الألفاظ لابن السكيت وكتاب الخيل للأصمعي وكتاب اللغات وكتاب الغرائز لأبي زيد والجمهرة لابن دريد. وعن كتاب مجهول الاسم لأبي عبيدة[1] ولو وصل الكتاب إلينا كاملًا لوجدنا بلا شك، أن لائحة المصادر طويلة جدًا.

ونشير إلى أن القالي لم يكن في البارع ينسب الأقوال والنصوص إلى مصادرها الكتابية إلا في النزر. ولنزداد يقينًا بذلك، نكتفي أن نفتح الكتاب على أية مادة فنرى:

في مادة «بلغ»[2]: يورد القالي مادته منقولة عن مصادره على النحو التالي:

- قال أبو علي: قال أبو زيد ...
- وقال الكلابيون ...
- وقال ابن الاعرابي ...
- قال أبو بكر (ابن دريد) ...
- وقال أبو عبيدة ...
- قال الفراء ...

---

(١) البارع: ١٢١.
(٢) البارع: ٢٧٤ - ٢٧٥

ـ وعن الكسائي...

ـ وقال يعقوب...

ـ وقال الخليل...

في مادة « غمز »[1] نرى القالي يورد النقل على النحو الآتي:

ـ أبو زيد ...

ـ وقال يعقوب في كتاب الألفاظ

ـ وقال أبو زيد...

ـ قال يعقوب...

ـ وقال أبو عبيد عن أبي زيد ...

ـ وقال الخليل...

وهكذا نرى أنه كان على الأستاذ « طعان » أن يقول إن كتاب « البارع » هو مجموع كتب هؤلاء وغيرهم، على نحو ما قال الزبيدي وليس هو كتاب العين وحده[2] ولعلنا نصيب إذا قلنا: إن أبا علي القالي قد أخذ المواد اللغوية التي احتوى عليها كتاب العين. كما أخذ ما جاءت به المعاجم الأخرى. وقد لاحظ القدماء أن ما جمع القالي من ذلك بلغ ٥٦٨٣ مادة.

وأضاف الشواهد إلى ما لا شاهد له وضبط المواد بالنص

---

(١) البارع: ١٦٥ - ٣٦٦.

(٢) الطبقات: ١٨٦.

والعبارة، ثم أعاد النظر في توزيع المواد على الأبنية وزاد أبواب «الأوشاب» ووضع ملحقًا خاصًا بالمعرب من كلام الفرس... هذا مجمل ما صنعه القالي وقد رأيناه مفصلًا. ويبقى لنا في هذا المقام وقفة مختصرة.

لقد كان من المفترض أن تأتي التغييرات التي أدخلها القالي إلى أبنية الخليل ببعض الايجابيات التي من شأنها أن تهذب نظام العين وتصلح خلله واضطرابه، لكن الواقع انها كانت عكس ذلك تقريبًا. فزادت الأمر تعقيدًا وملأت البارع خللًا. ونحن مع تحفظنا في اصدار أحكام سريعة على كتاب لم يصل إلينا منه إلا نزر ولم يستطع صاحبه تنقيحه واخراجه في صيغته النهائية، لا نرى مانعًا من إعطاء بعض الأمثلة التي تثبت مدى الارتباك الذي وقع فيه القالي وهو يحاول تطبيق تغييراته الجديدة.

١ ـ وقع ابو علي في خلط وارتباك عندما حاول تنظيم الألفاظ الثلاثية المقبلة بحرف واحد أو حرفين، فهي لا تستقر في باب معين. فنجد (هوى، وهى، وقى، قوى) قد ذكرت في الثلاثي المعتل من حرفي الهاء والقاف. والأصح ان تدرج في باب الحواشي (أي اللفيف) بحسب التقسيم الذي وضعه. وإذا بحثنا عن كلمة أخرى لها خصائص الكلمات نفسها مثل كلمة «وغى» نرى انها أدرجت في باب الأوشاب.

حار القالي في تعيين المكان المناسب لهذه الكلمة لانها تتضمن حرفين معتلين فيجب ان توضع في باب الحواشي (اللفيف). كما

تدل أيضًا على صوت (أصوات الناس) فيجب أن تكون في باب الأوشاب وهذا ما فعله القالي.

لكن هذا الاختيار أوقعه في مأزق ملموس: بهذا الاختيار اضطر إلى فصل الكلمة عن مقلوبها وهو (غوى) الذي لا يدل على معنى الصوت، وهكذا صنف اللفظ الأخير في مكان بعيد وهو باب الثلاثي المعتل، وهو بذلك قد خرق بندًا أساسيًا من بنود معجمه، وهو اتباع ذكر الكلمة بذكر مقلوبها. وبذلك يكون قد فصل أيضًا بين كلمتين لهما الخصائص نفسها، «فغوى» مثلها مثل «وغى» في كونهما من اللفيف أو الحواشي. كما ارتبك في تصنيف الكلمة الثانية، فوضعها بدورها في باب المعتل عوض باب الحواشي، كما حصل للقالي الارتباك نفسه بالنسبة للكلمتين هما: «غوغاء» بمعنى الجراد والرعاع. ولها صفتان:

الأولى: إنها تتضمن حرفين مكررين جاءا بلفظ واحد وهو الغين المعجمة. فحقها بذلك أن تصنّف بين مواد الأوشاب.

الثانية: إنها تتضمن حرفًا معتلًا، فحقها أن تصنّف مع مواد الثلاثي المعتل. «القوقأة» بمعنى صوت الدجاج ويشتق منها فعل يُقَوْقي. فلها ثلاث صفات:

الأولى: فيها حرفان مكرران جاءا بلفظ واحد وهو القاف.

الثانية: دلالتها، فهي صوت وهاتان الصفتان تضعانها في باب الأوشاب.

الثالثة: فيها حرفان معتلان فحقها أن تكون في الثلاثي المعتل.

وتخلّص القالي من ارتباكه فجعل الكلمتين معًا في باب الأوشاب اعتباطًا لأن المقاييس التي وضعها لم تكن مضبوطة، فقد انهارت تمامًا أمام الألفاظ ذات الصفات المتعددة. أما بالنسبة لألفاظ أخرى فقد حصل عكس هذا تمامًا، ألفاظ صحيحة وأخرى معتلة كان حقها جميعًا أن تصنف في باب الأوشاب لدلالتها الصوتية لكنها وزعت على أبواب أخرى. مثالًا على ذلك:

- اللجة: (صنجة القوم) - وردت في الثنائي في الخط.

- النشيج: (من نشج الانسان بالبكاء - ونشج الحمار: إذ أتى بنوع خاص من الأصوات). وردت في الثلاثي الصحيح.

- نَتَعَ: (أَنْتَعَ الرجل: إذا ضحك مستهترًا) وردت في الثلاثي الصحيح.

- غنّى: (والتغني هو الترنم) وردت في الثلاثي المعتل.

٢ - وكما ارتبك في تصنيف الثلاثي، حصل الشيء نفسه في الكلمات الرباعية التي تكرر فيها حرفان. فوضع بعضها في أبواب الأوشاب بصفتها تحدث أصواتًا معينة. لكنه جعل بعضها الآخر في أبواب الرباعي حيث تحتوي على أربعة حروف أصلية.

هكذا وجدنا أن (غطغطة، تقضقض، قرقر، نَقْنَقَ، قطقطة، قفقفة، قبقب وقوقة) كلها في أبواب الأوشاب، لأنها تعبر عن أصوات معينة، وحروفها مكررة. لكننا وجدنا كلمات كثيرة من هذا النـوع مذكورة في أبواب الرباعي، مع أنها تحمل أيضًا هذه

الصفـة الصـوتيـة. (القشقشـة، الغَـرْغَـرَة، الضَغْضَغَـة، اللَقْلَقـة، الغضغضة). مع العلم أن جل الألفاظ الرباعية التي تشابه هذه الكلمات تدل على أصوات (كالخرخرة والنَعْنَعة والكركرة والزنزنة والصلصلة والجعجعة...) فكان لأبي علي الحق في أن يضم هذه الألفاظ في باب واحد.

وما حاوله القالي في هذا الكتاب كجمع الألفاظ الدالة على الصوت في باب خاص، لا يؤمن الخطأ والاضطراب من ناحية وغير قابلة للتطبيق من ناحية أخرى ليس بالنسبة إلى « البارع » وحده بل الى سائر المعاجم العربية التي تجعل من بين أسسها مراعاة تقاليب الكلمة وأصولها الاشتقاقية.

فمراعاة التقاليب يأتي عقب انقلاب المادة إلى خمسة أوجه. ومراعاة الأصول الاشتقاقية تكون بجمع المشتقات الموجودة تحت عنوان المادة الواحدة بحيث إذا طلب المرء شيئًا منها وجده في موضوع واحد، فساعداه ذلك على ملاحظة العلاقة الإرتباطية بين مختلف مفردات المادة. وهكذا تجمع هذه المعاجم تحت عنوان (صفق) مثلًا، كل لفظ مشتق منها، فعلًا كان أم إسمًا أم نعتًا. فنجد (الأصفاق والصفقة والتصفيق والصفاق والاصطفاق...) وهذا أمر جوهري، تختلف فيه المعاجم العربية عن معاجم اللغات الأوروبية التي تصنف الألفاظ بحسب حرفها الأول من دون اعتبار أصلها الاشتقاقي. فإذا أردنا توضيح ذلك وفقًا لطريقتها نجد مثلًا لفظ « ارتبط » في باب الألف، وربط في باب الراء، وترابط في التاء، ومربوط في الميم والرابطة في مكان بعيد من الرباط تفصل

بينهما كلمات غريبة عن المادة مثل الراجحة، الرافلة، الراصدة، الراكدة... الخ).

معنى هذا، أن القالي قد أخلّ بعمق المنهج الذي اتخذه لكتابه، وذلك حين فصل بين الكلمة الدالة على الصوت حيث وضعها في باب الأوشاب، وسائر تقاليبها، لأن تلك التقاليب ليس فيها دلالة صوتية. ف(صفق) التي تفيد معنى الضرب مع التصويت، ستفصل عن (قفص) التي لا تفيد هذا المعنى. وفصل أيضًا بين هذه الكلمة الصوتية وسائر مشتقاتها الأخرى للسبب عينه. وقد حصل هذا بالفعل في معجم البارع. نسوق على ذلك مثالين:

المثل الأول: ذكر في باب الأوشاب (القطقطة) وقال: إنها تعني صوت القطّة. أما سائر مشتقات المادة ومعانيها فقد ذكرها في باب الرباعي حيث قال: القطقطة: اسم القطقط: المطر الضعيف، وصغار البَرَد. التقطقط: الذهاب في الأرض.

المثل الثاني: ذكر في الباب نفسه كلمة (قضقض) التي هي حكاية لصوت. ثم ذكر في الرباعي هذه المادة بالمعنى نفسه مع إضافة معان جديدة: يقضقض: يصوت. القضقضة: كسر العظام والأعضاء. القضقاض: من الأسد. الحطّام.

٣ ـ من الملاحظات التي تتناول صميم المنهج وتدل على بعده من الدقة والأحكام، ما نراه في سائر أبواب الرباعي وهو لم يراع في ترتيب الكلمات الرباعية أكثر من حرفين. فيذكر مثلًا في باب (الغين والراء... الكلمات التالية): « طرغم، غطرم، غرغر، رغرغ،

غطرس، غربل، برغل، غطرق، غذفر، زغرب، برغز». فإذا كان الجامع بين هذه المفردات في نظر القالي هو حرفا الغين المعجمة والراء، فإن ذلك في الواقع ليس كافيًا في التنظيم. لأن الحرفين موجدان في كلمات أخرى في غير هذا الباب. مثلًا في باب (الغين والشين مع سائر الحروف في الرباعي) مثل: «شغرب، شغبر، شنغر، طرغش، غشمر، برغش». وفي باب «الغين والضاد من الرباعي» مثل: «غرضف، ضرغط، ضرغد، غضرم، ضرغم». وفي باب الغين واللام مثل: «غرمل».

كل هذه الكلمات تشترك في حرفي الغين والراء ومع ذلك وزعت على مواضع شتى من دون ضابط ولا مقياس.

ويبقى أن نشير إلى ملاحظات ثانوية قد يكون مردها مجرد النسيان والغلط، أو كون الكتاب لم ينقح من قبل صاحبه. كما حدث في مادة (غزم) حين تكررت مرتين. وأشار الزبيدي إلى أن القالي قد أعاد باب الهاء والعين في الرباعي من حرف الهاء، بعد أن مضى ذكره كله في باب الرباعي من حرف العين[1] ومع ذلك، فلقد شارك القالي مشاركة فعّالة في المجهود اللغوي وقدم بهذا المعجم أثرًا عرف الناس فضله فمدحوه.

---

(١) المستدرك: ١٨٧.

ما أثير حول العين والبارع

بعد ولادة البارع، بات الباب المعجمي مشرعًا على مصراعيه. ولما كان هذا المعجم على صلة وثيقة بكتاب العين، فقد قامت حولها حركة خاصة من الدراسات نهض بها تلاميذ القالي وامتدت ذراعاها إلى غيرهم. كانت هذه الحركة تدور حينًا على العين وحده وحينًا آخر على البارع بمفرده وأحيانًا ما يقارن بينهما ويرتبط.

نلخص هذا النشاط على الوجه الآتي:

١ ـ ما أثير حول البارع:

شنّ صاعد (٤١٠/٩٩٠) حملة قوية على البارع بإيعاز من المنصور بن أبي عامر الحاكم الذي أراد أن يمحو آثار الأمويين السياسية والثقافية. غير أنه لم يحتفظ لنا إلا بنص تناول فيه نموذجًا من نقده واعتراضاته قال: «كان مولانا المنصور بن أبي عامر أطال الله بقاءه أمر بقراءة البارع، وهو كتاب لأبي علي القالي رحمه الله، صنفه بالأندلس... واحتذى فيه بكتاب المفضل بن سلمة صاحب

الغراء، وهو كتاب بليغ، يرد فيه على كثير ممّا أورد صاحب العين ويخطئه فيه. ولابن دريد كتاب في الرد عليه كبير، يعرف بكتاب الانتصار لصاحب كتاب العين، فنقله أبو علي، وضم إليه من خزانة المستنصر زوائد كثيرة، فكان يقرأ على المنصور بحضوري[1] ». إلى أن أتمّ نقده بتناوله بعض الألفاظ والكلمات.

ونكتفي بهذه القلّة من النص لنحدد موقفنا من ذلك فنرى أنه لا يمكن أن نتقبّل ذلك بسهولة لأسباب هي:

١ ـ انفراد صاعد بهذا القول من دون العلماء الموثقين ممن قرأ الكتاب معه أمثال الزبيدي وغيره...

٢ ـ ورود النص في إطار القصص الكثيرة التي يمتلىء بها كتاب النصوص وموضوعها الاعجاب بالنفس وإظهار التفوق الكاذب على العلماء. وصاعد متهم عند العلماء في علمه وخبره. « فهو يتكلم بملء فيه، ولا يوثق على ما يذره وما يأتيه »[2]. كما يقول ابن بسام ونقله عن « المقري »[3].

٣ ـ لأن بارع القالي كما رأينا، في سياق دراستنا له لم يؤلف للرد على الخليل أو تخطئته بل هو على العكس من ذلك يملأ الصفحات نقلًا عنه من دون شك ولا اعتراض.

٤ ـ إن صاعدًا شخصية استعملها المنصور بن أبي عامر المستبد

(١) كتاب النصوص لصاعد البغدادي ٢/٢٧٤ مخطوط الرباط.
(٢) الذخيرة م١ ـ ص ٢.
(٣) النفح، ٤/٩٤.

بالحكم في وجه الأمويين في الأندلس لمحاولة طمس آثار أبي علي القالي، باعتباره كان واحداً من صنائع بني أمية.

كما ظهرت دراستان حول كتاب البارع، نسبت الأولى إلى تلميذ القالي: أبي بكر محمد بن الحسين الفهري[1] سماها « جوامع كتاب البارع »، لا نعرف لهذا الكتاب فحوىً سوى أنه حواشٍ على البارع بعد أن نقحه وهذبه مع زميله الجياني..

أما الدراسة الثانية فهي: « الاستدراك على معجم البارع[2] » للوزير أبي مروان عبد الملك بن سراج. وأكّد ذلك ابن بسام في قوله: « أحيا كثيراً من الدواوين الشهيرة التي أحالها الرواة الذين لم تكمل لهم الأداة، ولا استجمعت لديهم تلك المعارف والآلات، واستدرك فيها أشياء من سَقْط واضعيها، ووهم مؤلفيها، ككتاب البارع لأبي علي القالي البغدادي »[3]. وإن لم يكن كتاباً مستقلاً فهو على الأقل حاشية من الحواشي التي دارت حول الأصل. هذا ما استطعنا أن نحوشه من هذا القطاف اللغوي في موسم البارع. وسنعرض لما قام به الزبيدي في مستدركه الذي قارن فيه بين العين وكتاب القالي.

---

(١) أنظر ترجمة الفهري في: جذوة الحميدي ص ٣٧٤ - بغية الملتمس ص ٧١ ط: دار الكتاب ١٩٦٧. التكملة ٣٧١/١. ط: العطار. انباه الرواة ٧١/٣.

(٢) أنظر: ترجمة ابن سراج في: الصلة ٣٤٦/١ (ط: الحسين الديباج.

(٣) الذخيرة، لابن بسام. م٢ ص: ٣٠٧.

المعجم الثاني: مختصر العين

وضعه الزبيدي في نسختين، الأولى للخليفة وهي كبيرة والثانية للعامة وهي صغيرة. هو ثاني معجم ظهر في الأندلس بعد البارع.

ألفه تلبية لطلب الحكم المستنصر الذي لم تكن رغبته الدافع الوحيد للقيام بهذا العمل، بل كان ما رآه في العين من الاضطراب والخلل هو الحافز الأول، لا سيما أن له في الكتاب ذلك الرأي المشهور. فقد أحب أن يصلح فيه ما ألفه منتحلًا، ويضعه في مواضعه، ويلخص لفظه ويحذف حشوه وفضوله وتكراره، وينظم أبوابه ويرتب أبنيته التي أصبحت تجري في «المختصر» على النحو التالي: «الثنائي المضاعف الصحيح، الثلاثي الصحيح، الثنائي المضاعف المعتل، الثلاثي المعتل، الثلاثي اللفيف، الرباعي، الخماسي»[1].

وعلى الرغم من أن الكتاب لم يكن في الحقيقة تأليفًا بالمعنى الصحيح، بل توليفًا أو اختصارًا وليس ابتكارًا، فأن التغييرات

---

(١) معجم الأدباء ١٨/١٨١.

التي أدخلها على كتاب العين موضوعًا ومنهجًا، كانت كافية لتجعله من التأليف المبتكر. وقد نوّه به ابن خلدون[1] وابن حزم[2]، واعتمده عبد الرحمن[3] التادلي كمصدر للرد على صاحب القاموس.

وما إن أتم الزبيدي معجمه هذا حتى استدعاه الحكم واستقبله أحسن استقبال. وناظره في مجلسه وبين يديه، في ذلك، الوزير الكاتب أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي، كما يقول ابن حيان[4].

وكان أهم من تأثر بخطته أبو الحسن ابن سيده الذي اقتبس منه منهجه في تنظيم معجمه «المحكم».

وعن «المختصر» تحدث غير باحث معاصر بإسهاب واشباع، فأغنانا عن الوقوف عنده طويلًا[5] لذلك نقف عند كتاب «المستدرك» للزبيدي لما له من أهمية مثيرة على صعيد التأليف المعجمي.

★ المستدرك: وقد سماه الزبيدي: كتاب المستدرك من الزيادة في كتاب البارع على كتاب العين[6]. واختصره باسم (المستدرك في

---

(١) المقدمة ٤/١٢٦٠. ت: (عبد الواحد الوافي).

(٢) الأفغاني سعيد: نظرات في اللغة عند ابن حزم: ٤٨ - ٤٩.

(٣) في كتابه: كتاب الوشاح.

(٤) المقتبس (قطعة الحجي) ١٧٣ - ١٧٤.

(٥) طبع في مختصر العين - قسم صغير من حرف العين سنة ١٩٦٣ في الدار البيضاء ت: محمد بن تاويت وعلال الفاسي.

(٦) فهرست ابن خير: ٣٣٠

اللغة). امر بجمعه الحكم المستنصر أمير المؤمنين حتى وصلت إلينا نسخة تقع في (٢٠٣ صفحات) ناقصة ومبتورة في غير موضع. حاول الزبيدي أن يبيّن في الملحوظات والانتقادات أغلاط العين والبارع. إلا أننا يمكننا إيجاز هذه التنبيهات في النقاط الآتية:

١ ـ أخطاء الإهمال، وأكثرها منسوب للخليل، وذلك بأن يهمل في كتابه ذكر باب أو مادة موجودة في كلام العرب وهي مستعملة عند القالي في البارع. مثلًا[1] « مادة فكع، من العين الثلاثي الصحيح: قال محمد: أهمل هذا الخليل، وذكره اسماعيل، فقال فَكَعَ مثل عَنَكَ ».

وبالرجوع إلى « العين » نجد أن الخليل لم يذكر من تقاليب مادة العين والكاف والفاء، سوى « عَكَفَ، وعَفَكَ »[2] وأهمل « فكع » وغيرها مما أتى به القالي.

قال الزبيدي في مادة العين والجيم والدال. من الثلاثي الصحيح من حرف العين: « قال محمد: لم يذكر أبو علي « عجد » ولا جاء به مستعملًا وذكره الخليل مستعملًا ». وقد صدق الزبيدي أيضًا، إذا جاء في « العين » ما نصه: « العجد: الزبيب، وهو حب العنب أيضًا، وقيل بل هو ثمرة غير الزبيب »[3].

٢ ـ أخطأ في الترتيب والتنظيم.

---

(١) المستدرك: ١٤.

(٢) العين: ج ١: ٤٨٤.

(٣) العين: ج ١: ٢٤٩.

٣ ـ أخطأ التصحيف.

٤ ـ اتباع القالي الخليل في بعض أخطائه أحيانًا.

٥ ـ ذكر القالي لمواد منسوبة للخليل وهي غير موجودة في العين.

٦ ـ التكرار.

٧ ـ استعماله لكلمات مولدة. قال في مادة (العين والشين والذال المعجمة)[1]: « شعر: قال محمد: ذكر اسماعيل في هذا الباب كلمة اخترعها المولدون، وليست تصح عن العرب ».

هذا قطاف من جنى لغوي وافر وخصوصًا لمن أراد البحث الجدي فهو يستحق أن يكون عملًا مستقلًا. إنما نحن أردنا الإشارة إليه لما له من تأثير في مسيرة المعجم العربي في تلك الأصقاع.

---

(١) العين: ج ١: ١٨.

المعجم الثالث : الموعب في اللغة

هو لأبي غالب تمام بن غالب المعروف بابن التيّاني[1] (ت ١٠٤٤/٤٣٦). حمل هذا المعجم أسماء شتى فلقب بـ « تلقيح العين » و« فتح العين » و« الموعب ».

فالأصل في الأسم الأول ما قاله ابن حيان المؤرخ وهو يترجم لابن التياني : « وله كتاب جامع في اللغة سماه تلقيح العين »[2] .

والاسم الثاني ورد في « المزهر »[3] للسيوطي. والثالث جاء في النصوص التي نقلت عن هذا المعجم مباشرة[4] .

والواقع أن ابن التياني لم يضع إلا كتابًا واحدًا نحا فيه نحو

---

(١) أنظر ترجمة ابن التياني في الجذوة للحميدي : ١٧٢) بغية الملمتس ٢٥٢ (ط دار الكاتب).

(٢) ابن بشكوال، الصلة: ج ١٢٣/١ . ابن خير : الفهرست : ٣٦٠ وياقوت في معجم الأدباء : ١٣٧/٧ . ابن خلكان : الوفيات ٣٠٠/١ .

(٣) المزهر : ٨٨/١ .

(٤) اللبلي ، أبي جعفر : بغية الآمال : ص ٣٨ والمزهر : ٨٩/١ ، النحوي ، أبو حيان : البحر المحيط ص : ٦.

العين، بل هذبه ونقحه واستعان في ذلك بمختصر الزبيدي، وجمهرة ابن دريد ولنا على ذلك أدلّة وشهود.

١ ـ لم يشر أحد من مترجمي ابن التياني إلى أن للرجل كتابين، بل يتفقون على حقيقة أن له كتابًا مشهورًا جمعه في اللغة[١].

٢ ـ وقع سقط وتحريف في عبارة ابن حيان الذي يظن أنه قال في أصل ترجمته لابن التياني: «وله كتاب جامع في اللغة سماه [الموعب] «بفتح العين...» كما يؤكد الدكتور «حسين نصار»[٢]، فسقط من هذه العبارة لفظ «الموعب» وأصبحت تقرأ: «وله كتاب جامع في اللغة سماه بفتح العين...» ثم حرف لفظ «بفتح» إلى صورة أخرى وهي «تلقيح».

٣ ـ لا شك في أن تسمية معجم ابن التياني كانت بالتلقيح مرة وبالموعب مرة أخرى. لأنه فعلًا لقّح أو نقّح كتاب العين، وقد استوعب أيضًا الشواهد التي حذفها الزبيدي، كما اشتمل على الدقة والبراعة في التأليف والترتيب والتنقيح. على أن بعضهم كان يصفه أحيانًا بالجامع[٣].

وصف أبو الحسن الشاري هذا المعجم بقوله[٤]: «**عمل** كتابه العظيم الفائدة الذي سماه «الموعب» بفتح العين، وأتى فيه بما في

---

(١) الجذوة، ١٩٧٣. المعجم العربي ٣٠١/١.
(٢) المعجم العربي ٣٠١/١.
(٣) فهرست ابن خير: ٢٣٦.
(٤) المزهر: ٨٨/١.

العين من صحيح اللغة الذي لا اختلاف فيه على وجهه، دون إخلال بشيء من شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب، وطرح ما فيه من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والأبنية المختلة. ثم زاد فيه ما زاد ابن دريد في الجمهرة. فصار هذا الديوان محتويًا على الكتابين جميعًا. وكانت الفائدة فيه: فصل كتاب العين من الجمهرة. وسياقه بلفظه، لينسب ما يُحكى منه إلى الخليل. إلا أن هذا الديوان قليل الوجود، لم يعرج الناس على نسخه بل مالوا إلى جمهرة ابن دريد، ومحكم ابن سيدة، وجامع ابن القزاز وصحاح الجوهري، ومجمل ابن فارس، وأفعال ابن القوطية وابن طريف ولم يعرجوا أيضًا على بارع أبي علي البغدادي، وموعب أبي غالب ابن التياني المذكور وهما من أصح ما ألف في اللغة على حروف المعجم. والكتب التي مالوا إلى الاعتناء بها قد تكلم العلماء فيها»[1].

ذلك هو المعجم الكبير الذي اقترن عند المؤرخين بكتاب القالي، يقول الشاري في ذلك: «إن ابن التياني لم يكن راضيًا عن صنيع شيخه الزبيدي في «المختصر» فلما رأى ما أخل فيه بكتاب العين، لحذفه شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب، قام بوضع معجمه الخاص». ولم نعرف الترتيب الذي سلك فيه، غير أن اقتفاءه أثر العين يدل على أنه قلد طريقته.

(١) المزهر: ١/٨٨ - ٨٩.

المعجم الرابع : كتاب المحكم :

هو لأبي الحسن بن سيده[1] ، وهو كتاب مشهور آثر فيه اتباع مدرسة العين ومعلميه الأندلسيين، على الرغم من انفراده بالمقدرة اللغوية التي ظهرت في معجميه المحكم والمخصص في وقت عرفت الحركة المعجمية في المشرق كتاب الصحاح للجوهري الذي هدم بناء الخليل، ويسّر السبل على الناس في البحث عن الألفاظ. تتلمذ

---

(١) ابن سيده من أكثر علماء اللغة الأندلسيين الذين لاقوا شهرة واسعة وانتشرت مؤلفاتهم في الأندلس وخارجها. يقول فيه صاحب المغرب: « لا يعلم بالأندلس أشد اعتناء من هذا الرجل باللغة، ولا أعظم تواليف، تفخر « مرسيه » به أعظم فخر، طرزت به بُردَ الدهر، وهو عندي فوق أن يوصف بحافظ أو عالم». أنظر المغرب ٢ : ٢٥٩ أبرز ناحية تميزت بها شخصيته. وكان لها أثر كبير في حياته - ولادته كفيف البصر لأب كفيف. أنظر نفح الطيب: ٣٥١. ربما كان لهذه الناحية أثر في تكوينه العقلي، وقوة ذاكرته. وتشهد له كتبه بالذكاء والفطنة. وهو امرؤ قليل الحلم، سريع الغضب، شتام، ناقد لاذع قال إنه نشأ بين أناس لولا الشكل لم تقض لهم بالانسانية ولولا الحس ما حكمت عليهم بالحيوانية». أنظر المحكم ١ : ١٦ أدركت ابن سيده منيته بدانية (١٠٦٦/٤٥٨) ويبدو أنه مات مفلوجًا.

على ابيه اسماعيل بن سيده وابي عمر الطلمنكي[١]. وهما تلميذا الزبيدي الذي كرّس حياته لاحياء مدرسة العين في الأندلس بعد أستاذه القالي.

١ ـ سبب تأليفه: يحاول ابن سيده أن يوضح ذلك في مقدمة كتابه: «فلما وضح له ـ للموفق ـ مكان الحاجة إلى هذه اللسن الفصيحة، الزائدة الحسن، على ما أوتيه سائر الأمم من اللسن، أراد جمع ألفاظها، فتأمل لذلك كتب رواتها وحفاظها، فلم يجد منها كتابًا مستقلًا بنفسه، مستغنيًا عن مثله، مما ألف في جنسه بل وجد كل كتاب منها يشتمل على مالا يشتمل عليه صاحبه... لا تشبع فيه ناب ولا فطيمة، ولا تغني منه خضراء ولا هشيمة»[٢].

من هنا نستطيع أن نحدد الهدف الأول الذي قصده ابن سيده من تأليف معجمه، وهو جمع المواد اللغوية المشتتة في الدراسات والرسائل المختلفة.

وهذا لم يكن الداعي الوحيد للتأليف فلقد «لحظ مناظر تعبيرهم، ومسافر تحبيرهم، فما أطبّى شيء من ذلك له ناظرًا، ولا سلك منه جنانا ولا خاطرًا، وذلك لما أوتيه وما حرموه، وأوجده وأعدموه، من ثقابة النظر، وإصابة الفكر، وكان أكثر ما نقمه ـ سدده الله ـ عليهم، عدولهم عن الصواب، في جميع ما يحتاج إليه

(١) هو أبو عمر أحمد بن محمد المعافري المقرىء الطلمنكي (ت ٤٢٩ هـ/١٠٣٧)
أنظر: الصلة ٤٨/١. تذكرة الحفاظ ١٠٩٨/١.

(٢) المحكم ١: ٣.

من الأعراب، وما أحوجهم من ذلك إلى ما منعوه»[1]. فهو هنا، إذاً، يعدنا بتغييرين جذريين، تغيير في المنهج وآخر في الدقة.

منهج المعجم:

ينقسم معجم ابن سيده إلى حروف مرتبة وفق المخارج على النحو التالي: العين، الحاء، الهاء، الخاء، الغين، القاف، الكاف، الجيم، الشين، الضاد، الصاد، السين، الزاي، الطاء، التاء، الدال، الظاء، الذال، الثاء، الراء، اللام، النون، الفاء، الباء، الميم، الهمزة، الياء، الواو والألف. وكل حرف من هذه الحروف ينقسم إلى الأبواب الآتية: الثنائي المضاعف الصحيح، الثلاثي الصحيح، الثنائي المضاعف المعتل، الثلاثي المعتل، الثلاثي اللفيف، الرباعي، الخماسي، السداسي، وقد امتلأت هذه الأبواب بالتقاليب، وهو النظام الذي اتبعه الخليل في «العين» ورأيناه في «البارع» يبدو أن ابن سيده قد استفاد في كتابه من المعاجم السابقة فكان واعيًا لأمور، يبغي توخيها والسير عليها.

فقد وضع في مقدمة كتابه خطة محكمة يرسم بها سيره في التأليف: «ومن غريب ما تضمنه هذا الكتاب، تمييز أسماء الجموع من الجموع، والتنبيه على الجمع المركب، وهو الذي يسميه النحويون جمع الجمع، فإن اللغويين لا يميزون الجمع من اسم الجمع، ولا ينبهون على جمع الجمع. ومن الأبنية ما يجوز أن يكون

(١) المحكم ١: ٣ ـ ٤.

جمعًا، وأن يكون جمع جمعٍ، وذلك أدق ما في هذا الجنس المقتضي للجمع. فإذا مررنا في كتابنا بمثل هذا النوع من الجمع علمنا أيهما أولى به الجمع أم جمع الجمع »[١].

ولو أردنا الوقوف عند كل ما قاله ابن سيده في مقدمة كتابه لطال بنا الأمر لأنه قد أكثر من الأمثلة الموضحة. لذلك نحاول تلخيص عمله بهذه النقاط:

أ ـ راعى في ترتيب الألفاظ، في داخل المواد، تقديم المفرد على الجمع، وجمع القلة على الكثرة، والمجرد على المزيد[٢].

ب ـ نبه على أمور شاذة ربما أدى إغفال ذكرها إلى الالتباس، ومثاله: اسم المفعول الذي لا فعل له أو المبني من الفعل اللازم، والأفعال التي لا مصادر أو لا ماضي لها، أولها مصادر من غير لفظها، والنسب الشاذ والمؤنث بغير علامة، والألفاظ التي يشعر ظاهرها أنها للمفرد والجمع، وما لا يصغر.

ج ـ حذف ما اعتقد أنه يزيد في حجم الكتاب بلا مبرر من ذلك المشتقات القياسية، وجمع اسم الفاعل من الأجوف على فَعَلة أو الناقص على فُعَلَة أو المؤنث على فواعل، والمصدر الميمي وأسمي المكان والزمان وأفعال التعجب. ولا يذكر من كل ذلك إلا الشاذ.

د ـ ميّز أسماء الجموع من الجموع وجموع الجموع، واسم الفاعل

(١) المصدر نفسه: ١: ٨ ـ ٩.

(٢) أنظر المعجم العربي: ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

الجاري على فعله بعطفه عليه بالفاء من اسم الفاعل غير الجاري عليه بعطفه بالواو، والمهموز أصلًا من المهموز شذوذًا، والمعتل الواوي من اليائي.

ولعل من جملة ما اقتبسه ابن سيده من البارع أنه زاد في معجمه بابا ليس في مختصر العين، وكان يدعوه مرة السداسي ومرة بالملحق بالسداسي، ووضع فيه الألفاظ الأعجمية وأسماء الأصوات. فطريقته هذه في جمع أسماء الأصوات والأسماء الأعجمية في أبواب خاصة، هي شبيهة إلى حد ما بطريقة البارع، كما رأينا عند دراسته.

٣ ـ مصادره:

وضع ابن سيده في مقدمة معجمه ثبتًا بالمؤلفات التي أخذ عنها. وقد قسّمها إلى جزئين: لغوية ونحوية.

وجاء في المقدمة ما يلي: «وأما ما ضمناه كتابنا هذا من كتب اللغة، فمصنف أبي عبيد، والاصلاح، والألفاظ، والجمهرة وتفاسير القرآن، وشروح الحديث، والكتاب الموسوم بالعين، ما صح لدينا منه، وأخذناه بالوثيقة عنه، وكتب الأصمعي، والفراء، وأبي زيد وابن الاعرابي، وأبي عبيدة، والشيباني، واللحياني، ما سقط إلينا من جميع ذلك، وكتب أبي العباس أحمد ابن يحيي: المجالس والفصيح، والنوادر، وكتابا أبي حنيفة، وكتب كُراع، إلى غير ذلك من المختصرات، كالزبرج، والمكنّى، والمبنّى، والمثنّى، والأضداد، والمبدل، والمقلوب، وجميع ما اشتمل عليه كتاب

سيبويه من اللغة المعللة العجيبة، الملخصة الغريبة المؤثرة لفضلها، والمستزاد لمثلها، وهو حلي كتابي هذا وزينه وجماله وعينه، مع ما أضفته إليه من الأبنية التي فاتت كتاب سيبويه معللة، عربية كانت أو دخيلة. وأما ما نثرت عليه من كتب النحويين المتأخرين، المتضمنة لتعليل اللغة، فكتب أبي علي الفارسي: الحلبيات، والبغداديات، والأهوازيات، والتذكرة، والحجة، والاغفال، والايضاح، وكتاب الشعر، وكتب أبي الحسن بن الرماني، كالجامع والأغراض وكتب أبي الفتح عثمان بن جني: كالمغرب، والتمّام، وشرحه لشعر المتنبي، والخصائص، وسر الصناعة والتعاقب والمحتسب»[1]. كما هناك مصادر أخرى لم يستطع ابن سيده حصرها بل لملمها من هنا وهناك. وهو يعترف بذلك قائلاً: «إلى أشياء أقتضبتها من الأشعار الفصيحة والخطب الغريبة الصحيحة»[2].

وهنا تجدر الإشارة إلى أن ابن سيده ردّ مادة كتابه إلى الأصول المشرقية من دون الالتفات إلى المؤلفات الأندلسية؛ مع العلم أن أعمال القالي والزبيدي وابن القوطية، يشهد لهم بالتقدم والمقدرة. غير أنه أغلب الظن قد استفاد منهم وإن كان يصعب علينا اثبات ذلك.

---

(١) المحكم ١ : ١٥.

(٢) المحكم ١ : ١٥.

٤ - خصائص المعجم:

لنأخذ مثلًا مادة «العين والتاء والقاف»[١]. نحاول من خلال تحليلها ودراستها أن نتلمس أهم خصائص ابن سيده في هذا المعجم. «العتق: خلاف الرق. عَتق يَعتِقُ عَتقا، وعِتقا وعتاقا وعتاقة، فهو عتيق وجمعه عُتقاء».

أعطانا ابن سيده أولًا الاسم ومعناه، ثم الفعل الثلاثي المجرد ومصادره المختلفة ثم الصفة منه في حالتي المفرد والجمع.

«وأعتقه فهو مُعتق وعتيق. والجمع كالجمع» انتقل هنا من المجرد إلى المزيد. إلا أنه لم يذكر اسم المفعول القياسي «معتق». فهو لم يفِ إذًا بما وعدنا به في المقدمة من حذف المصادر وأسماء المفاعيل القياسية.

بعد ذلك انتقل إلى الأسماء والصفات المشتقة من الأفعال. «عتيق: اسم الصّديق.. قيل سمي بذلك، لأن الله تعالى أعتقه من النار»، «وفرس عاتق: سابق» «ورجل معتاق الوسيقة: إذا طرد طريدة سبق بها. وقيل: إذا سبق بها وأنجاها»، والعاتق: الناهض من فراخ القطا، قال أبو عبيد، ونرى أنه من السبق. وقيل: العاتق من الطير: فوق الناهض، وهو في أول ما ينحسر ريشه الأول، وينبت له ريش جُلذيّ: أي شديد. وقيل: العاتق من الحمام: ما لم يُسنّ ويستحكم، والجمع: عتق». ونلاحظ هنا أن ابن سيده وقع

---

(١) المصدر نفسه ١: ١٠٠ - ١٠٢.

فيما وقع فيه القالي من قبل فأعطى المعلومات من دون أن يوازن بينها.

ويرجع إلى الاسم مرة أخرى فيذكر أن «العتق الشجر التي تتخذ منها القسي العربية.. والعتيق: فحل من النخل معروف، لا تنفض نخلته.. وعتيق الطير البازي».. وهو يلجأ إلى تفسير ما هو غامض مما لا علاقة له بالمادة الأصلية.

«والعتيق: القديم من كل شيء، وقد عَتُقَ عِتقا وعتاقة. والبيت العتيق: مكة، لقدمه لأنه أول بيت وضع للناس. وقيل لأنه أعتق من الغرق أيام الطوفان، وقيل سمي عتيقًا، لأنه لم يملكه أحد». ونراه يكثر من استعمال فعل «قال» كما يذكر غير معنى من دون أن يرد الآراء إلى أهلها.

ثم يعود إلى الفعل المزيد والمجرد بغير ضابط بعد أن تحدث عن الأسماء. «عتَّق بفيه: عض. وعَتَقَ المال عتقًا: صلح. وأعتقه أصلحه. وعتق بعد استعلاج فهو عتيق: رقّ...» ويعود إلى الأسماء: «العتيق اسم للتمر، عَلَم، وأنشد قول عنترة:

كَذَبَ العَتيقُ وماءُ شَنٍّ بَـارِدٍ إنْ كُنتِ سائلتي غبُوقًا فاذْهبي

والعاتق: ما بين المنكب والعنق».

وبعد أن استوفى في الكلمة بكل ما فيها من فروع ومعان ينتقل إلى «مقلوبها (ق ت ع): قتع يقتع قتوعًا: انقتع وذلّ».

هذا فيض من غيض أغرقنا به ابن سيده في معجمه المحكم. وباعتمادنا على هذا الفيض يمكن أن نسجل الملاحظات التالية:

١ - لم يهتم ابن سيده بذكر المصادر ولا برد الآراء إلى أصحابها إلا نادرًا ويكتفي بلفظة قيل أو ما شابهها. لكنه كان يسجل اسم صاحب الرأي إذا كان رأيه قاعدة وليس مجرد تفسير[١]

٢ - اهتم بالنواحي الصرفية وعالجها بإفاضة.

٣ - لجأ إلى التفسيرات الكثيرة بغير تصنيف، فأتى بعضها أحيانًا مناقضًا لبعض.

٤ - فسر الألفاظ الصعبة التي ترد في النصوص حتى ولو لم تكن من المادة الأصلية التي يتعرض لها.

٥ - أخيرًا لم يفِ بما وعدنا به في المقدمة من أنه سيراعي في ترتيب الألفاظ تقديم المفرد على الجمع وتقديم المجرد على المزيد وترتيب الاعلام بلا ارتباك، مما جعل العثور على اللفظة المطلوبة أمرًا عسيرًا وبخاصة إذا كان اللفظ مزيدًا أو مشتقًا.

على الرغم من المآخذ التي سجلناها، فقد استطاع ابن سيده، إلى حد ما، أن يقدم لنا معجمًا وصف بالتنظيم والدقة والشمولية.

هذا المعجم، كان آخر مؤلف على طريقة العين، إذ مال الناس بعد ذلك إلى طرق أبسط. كما لقي عناية فائقة في الأندلس وخارجها، فكثرت حوله التلخيصات والدراسات أهم ما عرفنا منها في الأندلس:

---

(١) أنظر المحكم ١: ٢٦١، ٢: ١٦٥، ٣٨٠.

أولًا: تلخيص الحكم: لأبي بكر محمد بن إبراهيم الرعيني (ت ٦٢٠/١٢٢٢) قال المراكشي في الذيل: «وله اختصارات في كثير من كتب العلم والأدب والتواريخ، كاختصار تفسير القرآن لابن عطية ومحكم ابن سيده ومطمح أبي الفتوح وقلائده»[١].

ثانيًا: تلخيص المحكم: لأبي عبدالله محمد بن سعيد العنسي، أحد المهاجرين من الأندلس إلى تونس في أثناء القرن السابع الهجري. ذكره ابن خلدون في مقدمته[٢] كما أشار محمد الفاضل ابن عاشور إلى أن للعنسي كتابًا آخر، قلب فيه ترتيب المحكم إلى ترتيب الصحاح للجوهري. حتى ظن ابن خلدون أنهما كتاب واحد[٣].

ثالثًا: رد على محكم ابن سيده: لأبي الحكم عبد الرحمن ابن برجان (ت ٦٢٧/١٢٢٩) ذكره صاحب التكملة قائلًا: «وله رد على أبي الحسن بن سيده وتبيين لأغلاطه في المحكم من تأليفه، واستلحاقات على كثير من اللغة[٤] وتنابيه مفيدة»[٥].

(١) الذيل: ٩٦/٦.
(٢) المقدمة ١٢٦٠/٤.
(٣) مجلة اللغة العربية بالقاهرة - ج ١٩ سنة ١٩٦٥ ص ١٣.
(٤) هكذا وردت ولعل الصواب في الأصل: على كثير من كتب اللغة.
(٥) التكملة ٥٨٤/٢ - ٥٨٥. ط كوديرا الترجمة رقم ١٦٣٩.

المعجم الخامس: المبرز في اللغة:

هو معجم لا نملك عنه أية معلومات سوى أنه لأبي عبدالله محمد ابن يونس الحجاري (ت ٤٦٢ هـ/١٠٧٠)[١] من الطبقة الثالثة في سلسلة الرواة عن القالي. كما ذكره ابن خير في فهرسته حين قال: «وهو كتاب كبير مثل المحكم لابن سيده»[٢] ففي قوله: مثل المحكم إشارة واضحة إلى أنه معجم لغوي أولًا، وعلى طريقة كتاب ابن سيده وفق سياق «العين». كما أشار أيضًا إلى هذا الكتاب أبو بكر عاصم بن أيوب البلوي اللغوي الشهير وأبو محمد ابن السيد البطليوسي[٣] وهما من تلاميذ الحجاري.

تلك هي ثمرات مدرسة العين التي استقطبت اهتمام المؤلفين والدارسين وتراجع أمامها كل نشاط معجمي آخر لا يخضع لهذا التيار ولا يتماشى مع هذا المنحى. ولو حاولنا بعد ذلك أن نتعرف إلى الثمرات التي أنتجها غير اتجاه مخالف لما حظينا بشيء يستحق الذكر.

---

(١) الصلة ٢/٥٤٧. ط. مصر.

(٢) الفهرسة: ٣٥٧.

(٣) المصدر نفسه: ٣٥٧.

المعجم المبوب (معجم السماء والعالم)

إن طغيان مدرسة العين في الأندلس وشدة تأثير المدرسة القالية التي سعت إلى ترسيخ منهجها في التأليف المعجمي وتغليبه على ما عداه، يفسر كلمة الانتاج الاندلسي في هذا النوع من المعاجم مع سهولته وشيوعه في الشرق. وما يقصده الدارسون بالمعجم المبوب، تلك المدونات اللغوية التي تقسم إلى مجموعات من المواضيع ترتب فيها المواد بحسب معانيها، وليس بحسب حرف من الحروف الأصلية للكلمة كما هو الشأن في المعاجم التي رأيناها سابقًا.

يمتاز هذا النوع من المؤلفات بصعوبة البحث عن الكلمات في داخله، لأنه في الحقيقة ليس معجمًا بالمعنى الدقيق للكلمة وإنما هو موسوعة لغوية كبيرة تضم طائفة من الرسائل والكتب الصغيرة. كل رسالة منها تتناول الألفاظ الخاصة، بموضوع محدد: في النبات أو الحيوان أو أي مظهر من مظاهر الطبيعة أو الانسان. كما تحتوي كل رسالة على أشعار كثيرة وشواهد أكثر.

أما الجهود التي تبذل في تضنيفها فهي أقل بكثير من تلك التي تبذل في معاجم الألفاظ القائمة على أسس دقيقة وترتيب معين.

ويذهب غير باحث إلى أن هذه الرسائل الصغيرة هي التي كانت تمثل الخطوة الأولى في تنظيم مواد اللغة وتصنيفها. بعده أتى المعجم الذي جمع سائر الألفاظ لمختلف الموضوعات.

غير أن هذا لا يعني أن تلك الرسائل قد توقفت بعد ظهور المعجم. بل بقيت حتى بعد ظهور المعاجم الكبيرة كالعين والجمهرة والبارع وغيرها.

وقد ظهر من المعجم المبوب في الأندلس كتابان: أولها لمحمد ابن أبان بن سيد القرطبي، وثانيهما لعلي بن سيده المرسي.

المعجم السادس : معجم السماء والعالم

تضاربت الآراء حول صاحب معجم (السماء والعالم في اللغة) فنسبه كثيرون إلى أحمد بن أبان بن سيد القرطبي (ت ٣٨٢/٩٩١)[١] وآخرون نسبوه إلى علي بن سيده المرسي صاحب «المحكم والمخصص»[٢] ونسبه إلى محمد بن أبان بن سيد، أبو جعفر اللبلي في كتابه: «بغية الآمال». حين نقل عنه وقال: «ووجدت أنا حرفًا آخر وهو: حببت الرجل إحبه (بكسر الهمزة). حكاه الامام أبو عبدالله محمد بن أبان ابن سيد القرطبي في كتابه الكبير المسمى: «السماء والعالم»[٣] أما نسبته إلى أبي الحسن بن سيده فاحتمال بعيد، إذ لا يعقل أن يضع الرجل معجمين كبيرين في موضوع واحد

---

(١) من الذين نسبوه إلى أحمد بن أبان: ابن حزم في رسالته في فضل الأندلس ص ١٦ المقري في النفح ٤/٣٥١. القفطي ١/٣٠. ياقوت في معجم العارفين ١/٦٨.

(٢) من الذين نسبوه إلى ابن سيده: الشقندي في رسالته ص ٣٤. ضمن (رسائل في فضل الأندلس) وياقوت في المعجم ١٢/٢٣٢. والصفدي في نكت الهميان ٢٠٥.

(٣) اللبلي، أبو جعفر، بغية الآمال: ١٠٢

وعلى طريقة واحدة أحدهما يسمى « المخصص » والثاني يسمى « السماء والعالم » .

وإذا ثبت أن الكتاب من تأليف محمد بن أبان وثبت معه أن صاحبه توفي سنة (٩٦٤/٣٥٤) كما يذكر ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس[١]، فسيكون كتاب « السماء والعالم » أول معجم لغوي شامل ظهر في الأندلس، وليس كتاب « البارع » لأبي علي القالي. وذلك بغض النظر عن الاختلاف بينهما منهجًا ومضمونًا وعن تجاوز الدقة في إطلاق لفظ « المعجم ». ومهما يكن، فإن مقارنة الموجود من كتاب السماء والعالم، الذي هو عبارة عن موضوع كبير يتناول فيه « خلق الانسان » وصفاته، بما يقابله من مخصص ابن سيده، يؤكد الشبه القوي بين الكتابين حتى يبلغ أحيانًا مستوى التطابق في المادة والعبارة. ونتيجة ذلك يمكن الافتراض أن ابن سيده قد اتصل بالكتاب الذي وضعه ابن أبان، ونقل عنه واستفاد منه وإن لم يصرح بذلك. غير أن استفادة ابن أبان من شيخه القالي تدل عليها النصوص الصريحة والواضحة[٢].

(١) تاريخ علماء الاندلس: ٦٩/٢. معجم الأدباء ١١٧/١٧ الوافي بالوفيات ٣٣٤/١.

(٢) انظر في مجلة « المناهل » المغربية عدد ١٩٧٧/٩ بحثًا حول معجم « السماء والعالم ».

المعجم السابع : المخصص[1] :

هو المؤلف الثاني لابن سيده. فقد أعجب بالمؤلفات التي كتبت قبله ولا سيما تلك الكتب التي ألف على طريقتها مثل « فقه اللغة » « للثعالبي » و« كتاب السماء والعالم » لمحمد بن أبان. واطلع عليها ثم قال: « تأملت ما ألفه القدماء في هذه اللسان المعربة الفصيحة وصنفوه لتقييد هذه اللغة المتشعبة الفسيحة فوجدتهم قد أورثونا بذلك فيها علومًا نفيسة جمة، وافتقروا لنا منها قلبًا خسيفة غير ذمة إلا أني وجدت ذلك نشرًا غير ملتئم ونثرًا ليس بمنتظم، إذ كان لا كتاب نعلمه إلا وفيه من الفائدة ما ليس في صاحبه. ثم إني لم أر لهم فيها كتابًا مشتملًا على جلها فضلًا عن كلها، مع أني رأيت من مد إلى تأليفها يدًا واعمل في توطئتها وتصنيفها منهم ذهنًا وخلدًا قد حرموا الارتياض بصناعة الاعراب ولم يرفع الزمن عنهم ما أسدل عليهم من كثيف الحجاب »[2].

---

(١) طبع الكتاب في مصر. المطبعة الكبرى الاميرية في « ١٧ » سبعة عشر جزءًا: (١٣١٦ - ١٣٢١/١٨٩٩ - ١٩٠٤).

(٢) المخصص: ١/٧.

فبدا لنا ابن سيده، من هذا النص معجبًا بنفسه، يتتبع سقطات غيره من اللغويين. «فإنا نجدهم لا يبينون ما انقلبت فيه الألف عن الياء مما انقلبت الواو فيه عن الياء ولا يحدّون الموضع الذي انقلاب الألف فيه عن الياء أكثر من انقلابها عن الواو مع عكس ذلك... وكذلك لا ينبهون على ما يسمعونه غير مهموز مما أصله الهمز على ما ينبغي أن يعتقد منه تخفيفًا قياسيًا وما يعتقد منه بدلًا سماعيًا ولا يفرقون بين القلب والابدال...»[1].

ودافع التأليف سبب آخر يورده ابن سيده في كتابه قائلًا: «ومبين قبل ذلك لم وضعته على غير التجنيس بأني لما وضعت كتابي الموسوم بالمحكم مجنسًا لأدلّ الباحث على فطنة الكلمة المطلوبة أردت أن أعدل به كتابًا أضعه مبوبًا حين رأيت ذلك أجدى على الفصيح المدره والبليغ المفوّه والخطيب المصقع والشاعر المجيد الموقع، فإنه إذا كان للمسمى أسماء كثيرة وللموصوف أوصاف عديدة انتقى الخطيب والشاعر منها ما شاءا واتسعا فيما يحتاجان إليه من سجع أو قافية على مثال ما نجده نحن في الجواهر المحسوسة»[2].

هذا ما رأيناه الدافع الأساسي لتأليف المعجم. غير أن الأمور لا تقف عند هذا الحد وانما تتجاوز إلى التعليم والإرشاد. «هداني سواء السبيل إلى علم كيفية التأليف وأراني كيف توضع قوانين

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه/ ١٠.

التصريف وعرفني كيف التخلص إلى اليقين..»[1].

والكلام هذا، كوب ماءٍ صغير من بئر ممتلئة، لا يمكننا أن نأخذ منها السبب الحقيقي للتأليف، إذ إن ابن سيده قد ذكر كل شيء، ولم يترك لنا جهة الاختيار. لكن ما نستطيع إيجازه هو أن حاجة في نفسه تحركت بعدما رأى نقصًا في الكتب السابقة فحاول استكمال هذا النقص.

٢ ـ منهج المعجم:

يقسم المعجم إلى أجزاء يبحث كل منها في موضوع محدد: «كتاب خلق الانسان»[2]، «كتاب الغرائز»[3]، كتاب النساء»[4]، «كتاب الخيل»[5]، «كتاب الابل»[6]. وتنقسم هذه الكتب، من حيث المبدأ، إلى أبواب قد تتباين طولًا، ونراها تقصر أحيانًا إلى نصف سطر وتشغل صفحات في أحيان أخرى[7].

وقد يأتي هذا التقسيم مستقلًا عن الكتاب تندرج تحته

---

(١) المصدر نفسه ١/٩.
(٢) المخصص ١: ١٥.
(٣) المصدر نفسه: ٢/١٤٨.
(٤) المصدر نفسه: ٣/١٥٤.
(٥) المصدر نفسه: ٦/٥/١٣٥.
(٦) المصدر نفسه ٧/٢.
(٧) المصدر نفسه: ٦/١٣٥، ٧/٩٥.

موضوعات مستقلة[1]. كما جعل ابن سيده المفردات تدور حول فكرة ما أو موضوع ما أو أسماء متعددة لمسمى واحد. وبناء الكتاب على الموضوعات ليس من ابتكاره إذ لجأ العرب إلى هذه الطريقة منذ أول تنبههم إلى ضرورة جمع اللغة: فكان اللغوي فيهم يذهب إلى البادية ليقابل الأعراب، مما يساعده على جمع الألفاظ والشواهد التي تدور حول موضوع واحد. من هؤلاء اللغويين «الأصمعي» في «كتاب الخيل» مثلًا.

وينبه المؤلف في مقدمة كتابه إلى طريقته في التأليف فيلخصها بقوله: «تقديم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص، والإتيان بالكليات قبل الجزئيات والابتداء بالجوهر والتقفية بالأعراض على ما يستحقه من التقديم والتأخير، وتقديمنا[2] كم على كيف، وشدة المحافظة على التقييد والتحليل...»

٣ ـ خصائص المعجم

كان ابن سيده آخر من يؤلف على طريقة التبويب كما كان آخر من يؤلف على طريقة العين. وقد درس الباحثون هذا المعجم كثيرًا فأغنانا ذلك عن إعادة البحث[3]. ومع ذلك فإنه يمكن

---

(١) باب الفصحاة ١١٢/٢، أبواب النسب ٢٣٦/١٣.

(٢) المخصص: ١٠.

(٣) أنظر المعجم العربي للدكتور حسين نصار
أنظر الحركة اللغوية في الأندلس للدكتور البير حبيب مطلق.
أنظر مجلة (المناهل) المغربية الاعداد السبعة الأولى وغيرهم كثيرون.

الوقوف عند بعض الخصائص المهمة نوجزها بالنقاط التالية:

١ ـ ظاهرة الجمع:

من الأمور اللافتة في بطن الكتاب جمع التفسيرات المتعلقة باللفظة الواحدة. وعلى كثرتها قد تأتي المادة بصورة مناقضة في بعضها للبعض الآخر وقد تأتي متممة مثلًا:

«والقوطي الذي يقارب المشي من كل شيء يقطو في مشيه نشاطًا ومرحًا وبغيًا، ويقطو يقارب الخطو، والأنثى قطو طاة فأما وزنه، فذهب أبو عبيد إلى أنه فعولي. وقال سيبويه إنه فعلعل وذكر غيره أنه فعوعل»[١] فاختلفت الآراء وتناقضت والأمثلة كثيرة على ما ذهبنا إليه في التناقض والاتمام[٢].

٢ ـ الاستنتاجات الصرفية

ينحو ابن سيده في معجمه منحى الصرف. فيجمع لنا الآراء التي قيلت حول مادة معينة، ذاكرًا بناء اللفظة وأصلها ومشتقاتها: «سادهم يسودهم سيادة ابن جني: واستادهم. أبو عبيد: وقد سودته... والسؤدد: فعلل منه، وقال: ساودني فسدته، من السيادة وليس هذا بمطرد عند سيبويه. وقالوا سيد وسائد...»[٣].

---

(١) المخصص ٢٠٨/١٥.

(٢) المصدر نفسه ٤٩/٣.

(٣) المخصص ١٥٨/١ ـ ١٦٠.

٣ ـ الاستطراد وصعوبة العثور على اللفظة المطلوبة[١]

ليس الاستطراد في الموضوعات فحسب بل في الألفاظ والتفصيلات عمومًا. فالكلمة تشده إلى كلمة أخرى والصفة تذكره بصفة أخرى وموصوف آخر وهكذا دواليك. أما من حيث العثور على لفظة مطلوبة فإنه أمر شاق أو قد يكون مستحيلًا. إذ ربما عثرنا على لفظة في مكان آخر لا تمت إلى موضوعه بصلة، وهذا ما زاد المشكلة صعوبة.

أخيرًا، يمكن أن نفترض بأن الكتاب لم يؤلف لنبحث فيه عن الألفاظ المفردة وإنما كما ذكر في مقدمة كتابه فقد أراد إثراء المادة وتسهيل الأمر على الأديب بجمعها له مبوبة بحسب الموضوع الذي يريده.

---

(١) مطلق، البير: الحركة اللغوية في الأندلس ـ (ص: ٣٦٩ ـ ٣٧٠) بيروت ١٩٦٧.

المعجم الثامن: «المسلسل في غريب لغة العرب»[1]

لأبي طاهر محمد طاهر بن يوسف بن عبدالله التميمي السرقطي (ت ١١٤٣/٥٣٨) حاول أن لا يخضع معجمه لأية مدرسة من مدارس المعجمات العربية المعروفة (وقد أشرنا إليها سابقًا) فوصف بالفرادة[2].

وفرادة هذا المعجم تتمثل في عدم اخضاع مفردات اللغة لأي ترتيب سوى ما يفرضه التسلسل بين معاني الألفاظ فالكلمة الأولى تجر الثانية والثانية إلى الثالثة وهكذا دواليك حتى تنتظم الأمور. وهذا لا يبعده من ان ينفرد أيضًا بصعوبة البحث عن اللفظ المراد. وعدّ في شموليته واتساعه مصرفًا للكلمات والمصطلحات ولا سيما أنه بالإمكان إعادة ترتيب المواد وتبويبها وفق مقاييس جديدة لمعجم

---

(١) نشرت الكتاب وزارة الثقافة والارشاد القومي في مصر ١٩٥٧ ت: محمد عبد الجواد.

(٢) عرف هذا الكتاب في وقت شهد فيه الشرق العربي كتابين لهما الصفة نفسها «كتاب المداخل» بضم الميم وفتح الخاء. لأبي عمر المطراز المعروف بغلام ثعلب (ت ٣٤٥ هـ/٩٥٥) وكتاب شجر الدر) لأبي الطيب.

حديث يتفرد المرء بسهولة البحث فيه عن الألفاظ.

خصائصه:

١ - يعرض المعجم المواد اللغوية وذلك بجمع الكلمات تحت عدد معين من الأبواب، ثم البدء بكلمة تكون هي المدخل أو الأصل لكل باب وعنها تأخذ اللفظة بعُنق رفيقتها من دون أن يكون هناك شيء يميز الباب الواحد عن الأبواب الأخرى.

٢ - على الرغم من التداخل والتسلسل، ليس هناك موضوع مشترك بين ألفاظ الباب كما هي الحال في المعاجم المبوبة.

٣ - ينقسم الكتاب إلى خمسين بابًا. وفي كل باب ما يشبه «المدخل» وما يشبه «القفل» والمدخل هو الشعر الذي يفتتح به الباب، ومن هذا المدخل تؤخذ الكلمة الأم التي تتفرع عنها الكلمات الأخرى. «والقفل» البيت الواحد الذي ينتهي به كل باب.

٣ - تمتاز الأبواب، عادة، بقصرها وببساطتها إذ يقتصر الأمر عند ذكر الكلمة على إيجاد مرادفها مثالًا على ذلك:

قال في الباب الأول:

«أنشد أبو عبيدة لصبيان الأعراب، وتروى لإمرىء القيس بن حجر:

لمن زحلوقة زل ... بها العينان تنهل
ينادي الآخر الأول ... ألا حلوّا، ألا حلوا

ويتابع قائلًا :

« ويروى: (ألا خلوا ، ألا خلوا)، ويروى: (زخرفة ويروى: (زحلوفة) بالقاف والفاء والكاف.

ـ الأل: الأول

أول: يوم الأحد

والوحد: هو الحد

والحد: الفرد

والفرد: الثور

والثور: الظهور

والظهور: الغلبة

والغلبة: جمع غالب

وغالب: أبو لؤي. قال حسان بن ثابت: عقيلة حي من لؤي بن غالب كرام المساعي، مجدهم غير زائل.

ولؤي: تصغير اللأى

واللأى: الثور

والثور: الفحل البقر

والبقر: الفرق

والفرق: تباعد ما بين الثنايا

والثنايا: العقاب

والعقاب: الموالاة

والموالاة: المظاهرة

والمظاهرة: لبس ثوب على ثوب

والثوب: الرجوع
والرجوع: الكر[1]

وهكذا إلى آخر الباب، وآخر الباب ينتهي حيث يريد المؤلف وليس حيث تنتهي المعاني والألفاظ:

ونرى في هذا المعجم أن المدونات اللغوية قد رتبت فيها الألفاظ على نمط معين من دون مراعاة الاصطلاح الحديث الذي يميل إلى قصر الكلمة.

ولسنا هنا بصدد تقويم المعجم العربي في ضوء المفاهيم العلمية المعاصرة ولا بصدد الحكم على هذا النوع أو ذاك من المدونات اللغوية التي سميت بالمعاجم وإنما عملنا يهدف إلى إبراز المراحل التي مر بها، العمل المعجمي في بلاد الأندلس.

ويبقى لنا في هذا الفصل وقفة عند بعض الرسائل اللغوية التي حملت في ترتيبها مقومات الطموح نحو التنظيم المعجمي، بل إن غير كتاب منها قد صار معجمًا.

من هذه المصنفات: رسائل خاصة بمفردات الأدوية والأعشاب والصيدلة وكتب تختص بألفاظ القرآن والحديث. وبعض المقارنات المعجمية نوردها في فصل مستقل من شأنها أن توضح الأمر على من التبس عليه شأن في معرض حديثنا.

---

(١) المسلسل: الباب الأول: ت: محمد عبد الجواد. القاهرة ١٩٥٧. .

المعجم التاسع: الجامع[1]

لأبي محمد عبدالله بن أحمد المالقي العشاب المعروف بابن البيطار (ت ١٢٤٧/٦٤٦) ضمّنه سائر أقوال السابقين من عرب ويونان وفرس وهنود ولاتين.

دوافع تأليفه:

كان القدماء من مؤرخي المعاجم العربية يهملون في دراساتهم المفردات اللغوية الخاصة بالنبات والحيوان والطير وغيرها... ويبعدون عن ذلك متذرعين بأن أغلب تلك المفردات ليس عربيًا في الجذر بل هو دخيل من الفارسية واليونانية والهندية وغيرها. فوجد ابن البيطار نفسه ملزمًا بجمع تلك الألفاظ المهملة وحشدها في معجم يختص بالطب والأعشاب والأدوية.

واضطر الأطباء والصيادلة القدامى إلى أن يستخدموا الألفاظ غير العربية لأنهم لم يجدوا مقابلها في العربية. نذكر من هؤلاء

(١) طبع في مصر سنة (١٨٧١/١٢٩١) في مجدلين.

الطبيب المعروف بابن وافد (ت ٤٦٠/١٠٦٧) وأمية بن أبي الصلت (٥٢٩/١١٣٤)[1].

وكان هذا دافعًا مهمًا يحث المالقي العشاب إلى ترتيب وتنسيق كتاب يعتني بهذه الألفاظ ويوردها على طريقة المعجم الألفبائي مع بعض التفاوت في أحكام هذا الترتيب.

منهجه:

١ ـ رتب ابن البيطار الألفاظ بحسب الحرف الأول منها ثم الثاني، وجعلها أبوابًا، كل واحد منها يحمل اسم حرف من حروف الأبجدية.

٢ ـ بدأ كل مادة من المواد بذكر أصلها الأجنبي، ثم ذكر الاسم الذي تعرف به في غير اقليم وبلدة. وقد احتفظ لنا الكتاب نتيجة ذلك بطائفة كبيرة من الكلمات المعربة ومن المفردات العامية مع لفتة خاصة نحو الألفاظ الأندلسية التي بلغت شأوًا كبيرًا. نورد منها على سبيل المثال: أفنون: نبات شوكي يعرف في بعض بوادي الأندلس (رأس الشيخ) الأقطي: شجر معروف، منه كبير يسمي بعجمية الأندلس (شبوقة) ومنه صغير، ويسمى بعجمية الأندلس (بذقة) الأشخيص: شوكة الملك عند أهل الأندلس، ويعرفونه بـ (الشبكاني) وبالبربرية (أداد) الاسرنج: والمعروف عند العامة هناك بـ (الزرقون). ثم يتحدث عن (لوز البربر) فيقول:

---

(١) عيون الأنباء ٤٩/٢.

« والبربر في المغرب الأقصى يسمونه: (أرجان) وهو شجر يكون بالمغرب الأقصى في قبيلة مراكس ببلاد « حاد » و« ركراكا » كثير الشوك حديده، يمنع شوكه من الوصول إلى جني ثمرته، ويستخرج من ثمرته دهن بأن تعطي ثمرته الى المعز أو الى الإبل لتأكله عند نضجه على شجره، أما نواه فيكسر كاللوز ويطحن كالزيتون ويستخرج منه دهن من أفضل الأنواع وأجودها ويسمى زيت « الاركاف »

٣ ـ اعتمد ابن البيطار لمعرفة الأنواع المختلفة الألفاظ باختلاف الأقاليم، على كتب الصيدلة والطب العربي منها والمعرب، فضلًا عن كتب الرحلات والجغرافيا واللغة التي وضعها مؤلفون من مختلف البقاع.

٤ ـ واعتمد أيضًا على مشاهداته ومعرفته الشخصية واطلع على المؤلفات الأندلسية السابقة له: نذكر منها بصورة خاصة: « كتاب النبات »[١] وكتاب « الأدوية المفردة » للغافقي ومؤلفات أبي العباس النباتي المعروف بابن الرومية (ت ٦٣٧/١٢٣٩).

٥ ـ يعرّف بماهية الاسم الذي وضع له اللفظ ويصف شكله وطعمه ولونه ومكان زرعه وذلك قل نظيره في المعاجم اللغوية الموسوعية التي ترضى غالبًا بذكر النبات بصورة عامة.

٦ ـ وبعد الوصف والتعريف بالشكل والهيئة تجيء الناحية الأهم

---

(١) لأبي عبيد البكري (سماه ابن أبي أصيبعة: « أعيان النبات والشجريات الأندلسية » ج ٢/٥٢.

المتمثلة بتقديم كيفية استعمال هذه النبتة وطريقة استخراج الدواء منها والمقادير التي يجب استعمالها والأمراض الواجب معالجتها. وبهذا تميز عن بقية اللغويين الذين لم يهتم أحد منهم بتفصيلات تلك الأمور.

إن معجم ابن البيطار يستحق الاهتمام الزائد من قبل الدارسين وبخاصة من أصحاب الشأن أعني بهم رجال الصيدلة والطب.

المعجم العاشر: «تحفة الأريب بها في القرآن من الغريب»[1]

ألّف هذا المعجم «أثير الدين أبي حيان النحوي» (ت ١٣٤٣/٧٤٥) وهو من أهم المؤلفات الأندلسية التي تختص بألفاظ القرآن ولا سيما الغريب منها.

تميّز هذا الكتاب عن سائر المدونات بصفة معجم متخصص من دون مبالغة.

منهجه:

رتب النحوي معجمه ترتيبًا راعى فيه أصول الكلمات من دون زوائدها وأهمل ما سوى الحرفين الأول والأخير في الكلمة.

خصائصه:

١ - يمتاز عن معاجم نوعه بانه طرح الشواهد الشعرية.

٢ - لم يتقص سائر المعاني التي يأتي من أجلها اللفظ.

---

(١) طبع في بغداد سنة - ١٩٧٧ - ت: الدكتور أحمد مطلوب وخديجة الحديثي وعنه عالم الفكر العدد الأول المجلد الثاني عشر ص ١٢٦.

٣ ـ حدد في مقدمة معجمه هدف الكتاب بقوله: « والمقصود في هذا المختصر أن نتكلم على هذا القسم، وأن نرتبه على حروف المعجم، فأذكر في كل حرف منها، معتبرًا في ذلك الحروف الأصلية لا الزائدة، مقتصرًا في ذلك على شرح الكلمة الواقعة في القرآن العزيز . . . »[1].

٤ ـ تسير طريقته في شرح الألفاظ على النحو الآتي:

قال في حرف الهمزة:

« الأَب: ما رعته الأنعام، وقيل هو للبهائم كالفاكهة للناس.

أوَّاب: رجَّاع

أوِّبي: سبحي

أَلَتْ: نقص، ويقال: لاَتَ يليت

الأَمت: الارتفاع والهبوط

الأثاث: المتاع

الأُجاج: المر، الشديد الملوحة

الإد: العظيم . . . الخ »

يرسم المثل الذي بين أيدينا صورة مضيئة عن بعض النقاط التي تصدرت هذا الكتاب.

١ ـ اختصر المؤلف في الشرح من دون الالتفاف إلى الشواهد الشرعية وغيرها.

---

(١) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: ٤.

٢ ـ لم يراع حشو الكلمة في الترتيب وإنما اكتفى بمراعاة الحرفين الأول والثالث منه أصول الكلمة.

٣ ـ لم يرجع اللفظ إلى مكانه في النص القرآني.

وكثرت عناية الناس في الأندلس بتصنيف معاجم الأعلام وفهارس الكتب وذاعت بينهم ذيوعًا واسعًا وهذا إن دل على شيء فهو يدل على اتساع آفاق المعارف عندهم حتى مست الضرورة إلى وضع المعاجم لطوائف الرجال أو لفروع العلوم منها: معاجم الأعلام الفقهاء كتلك التي وضعها ابن عبد البر، لقضاة قرطبة[١]. وصنّفت بعد ذلك معاجم رجال جامعة مثل مؤلفات ابن الفرضي والحجاري وابن بشكوال وابن الأبار وابن فرحون[٢]. ومن أعجب المؤرخين الذين انصرفوا إلى وضع المعاجم في طبقة معينة من الرجال أبو عبدالله محمد بن الحارق بن أسد الخشني وهو قيرواني درس الشريعة في بلده ثم وفد على الأندلس سنة ٥٣١١ هـ/٩٢٣ م وقد اشتهر اسمه بكتابه عن تاريخ قضاة قرطبة» الذي نشره سنة ٣٥٧ هـ/٩٦٨، يضم هذا الكتاب فوائد جمّة خصوصًا ما يتعلق بالحياة الاجتماعية في الأندلس من أول الفتح إلى عصر الحكم المستنصر. وقد أخذ من الروايات والأخبار التي كان الناس يتناقلونها كما يقول «ريبيرا»، وما كانت تتناقله بيوت عرب الأندلس ذات النسب الصريح. وأخذ البعض الآخر من أفواه أهل

---

(١) لم نحصل على أية معلومات إضافية حول هذه المعاجم سوى ما أورده آنخل بالنثيا في تاريخ الفكر الأندلسي، ت حسين مؤنس.

(٢) المرجع نفسه ص ٢٦٦.

الأدب والدين والعلماء والفقهاء وما كان يدور في حلقات دروسهم. كل هذه العناصر تجمعت وتآلفت لتكوّن مادة الكتاب من دون أن يضيف المؤلف إليها من خصوصياته إلا القليل.

وما يؤخذ على الكتاب ما يقوله ريبيرا: « ليس الكتاب مسرفًا في الدقة ولا بشدة التحفظ في نقده لما يورد من الأخبار». هذا المأخذ يمس الكتاب بوجه خاص في قسمه الأول لأنه يقص فيه أحداثًا وقعت في العصور الأولى. كما يفتقر الكتاب إلى الأسلوب الأدبي الجميل، غير أنه غني بالمتعة لمن يهتم بتأمل الأحداث وسيرورتها.

وطارت « لابن الفرضي» شهرة واسعة بمعجم أعلامه المسمى « تاريخ علماء الأندلس»[1] وهو أقدم معجم رجال علم بين أيدينا كما يقول « بالنثيا» « بلغ فيه الغاية والنهاية من الاتقان» كما وضع أحد تلامذة ابن الفرضي وهو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن ملهب (متوفى سنة ١٠٥٨/٤٥٠) ذيلًا على معجم استاذه اسمه « تعليف على تاريخ ابن الفرضي واستلحاق». وألف رُشيد الدين محمد بن ابراهيم الوطواط (المتوفى سنة ١٣١٨/٧١٨) رسالة سماها « درر الغرر في شعراء الأندلس» وصل بها تاريخ شعراء الأندلس لابن الفرضي[2]. كما يعدّ كتاب محمد خليفة بن يَنّقْ (٤٨٢ - ١٠٨٩/٥٤٧ - ١١٣٢) وعنوانه « كتاب في ملوك الأندلس

---

(١) المجلدان ٧ و٨ من المكتبة العربية الاسبانية Biblietheca Arabico Hispana وقام على نشره كوديرا في سنتي ١٨٩١ و١٨٩٢. تاريخ الفكر الاندلسي ٢٧١.

(٢) المرجع نفسه ص ٢٧٢.

والأعيان والشعراء بها » من الطراز نفسه لمعاجم الرجال. يقول عنه ابن الأبار في « التكملة »: « ومال إلى الآداب والعربية والعروض فحُمد في ذلك وبلغ الغاية من البلاغة في الكتابة والشعر، ولقي أبا العلاء بن زهر[١] فلازمه مدة وأخذ عنه علم الطب »[٢].

وألّف ابن بشكوال (٤٩٤ - ١١٠٠/٥٧٨ - ١١٨٣) وهو ذيل أكمل به تاريخ علماء الأندلس « لابن الفرضي » وضمّنه سير طائفة من الأئمة والمحدثين وأهل الأدب من الأندلسيين ويقول فيه ابن الأبار « إنه منتهى ما يصل إليه الواصل في معاجم التراجم »[٣]. وعلى الطراز نفسه ألّف كتابه أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن الأبار المسمّى: « المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي » (٤٤٤ - ١٠٥٢/٥١٦ - ١١٢٢) الذي عرف بابن الدرّاج[٤].

أما ابن الأبار وهو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (٥٩٤ - ١١٩٨/٦٣٥ - ١٢٣٨) فهو أكبر مؤرخ صنف معاجم الرجال في الأندلس[٥].

وقد خلّف لنا ابن الأبار فضلًا عن معجم « الحلّة السيّراء » وهو

---

(١) هو أبو العلاء بن زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان له علاجات مختارة تدل على قوته في صناعة الطب واطلاعه على دقائقها. كانت له نوادر في مداواته المرضى ومعرفته أحوالهم. اشتغل بصناعة الطب وهو صغير في أيام المعتضد ملك اشبيلية. عروق الذهب في مناجم الروم والعرب. سيمون الحايك.

(٢) التكملة ص ١٦٠. وتاريخ الفكر الاندلسي: ص ٢٧٢.

(٣) نشره كوديرا سنة ١٨٨٣.

(٤) المقري: نفح الطيب. ج ٣ ص ٢٠٥.

(٥) تاريخ الفكر الأندلسي ص ٢٧٧.

مجموع تراجم الأمراء، كتابًا شبيهًا به هو « تحفة القادم » ولا نعجب إن لم نحظ بشيء من كتبه ومعاجمه لأن مكتبته، كما تقول أخباره، قد أحرقت في الموضع نفسه الذي قتل فيه.

ومن معاجم التراجم الخاصة ما يقصر على نصف واحد من الأعلام، « معجم الزهّاد والعباد » لأبي عمرو ومحمد بن أبي بكر بن يوسف بن عفيون الشاطبي (٥١٨ - ١١٢٤/٥٨٤ - ١١٨٨) ورسائل أخرى عن الصالحين والزهاد من أهل الجزيرة[١].

وإن شئنا تعداد الأسماء المعجمية فهي كثيرة وتتناول غير باب في الحياة الثقافية في الأندلس[٢] إلا أننا آثرنا ذكر بعض الأمثلة للوقوف على الأسماء المهمّة ولترك الباب مشرّعًا أمام المتخصصين في تلك الميادين مع الاشارة إلى أننا نفتقر لوجود تلك المصادر بين أيدينا للوقوف على أهم خصائص تلك المعاجم ولا نكتفي بذكر أسمائها المدوّنة في بطون الكتب فقط.

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٨٤.

(٢) وللكلام على عهدي بني نصر وبني الأحمر وغيرهما انظر: فرحات، يوسف. غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٦٧، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط (١) بيروت ١٩٨٢.

ـ ثانيًا : معاجم الأفعال ـ

المعجم الأول : فعلت وأفعلت « لأبي حاتم »

اختلفت الآراء حول نسبة هذا المعجم. فبعض الدراسين نسبوه إلى الأصمعي[1] والبعض الآخر إلى أبي حاتم[2]. ومهما يكن، فالكتاب يمثل الخطوة الأولى في تأليف الأفعال[3].

موضوع المعجم ومنهجه : قال أبو حاتم في صدر كتابه : « هذا باب فعلت وأفعلت بمعنى واحد عن عبد الملك ابن قريب الأصمعي سألته عنه حرفًا حرفًا »[4]. يهتم الكتاب إذًا بمعالجة الأفعال التي جاءت بصيغة فعل وأفعل واتحد معناها. ومن ذلك قوله : يقول أكثر العرب كننت الدرة والجارية وكل شيء صنعته فأنا أكنها وأنا كان وهي مكنونة. قال وكذلك كل شيء في معنى الصون. وأكننت الحديث والشيء في نفسي إذا أخفيته وهو مكن.

(١) انظر الجدول في بداية الكتاب.

(٢) الفهرست لابن النديم، ٨٢. فهرست دار الكتب المصرية.

(٣) يوجد في دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٥.

(٤) مقدمة الكتاب فعلت وأفعلت.

وفي القراءة قوله تعالى: ﴿**كأنهم لؤلؤ مكنون**﴾[1] من كننت وقال الله: ﴿**أو أكننتم في أنفسكم**﴾[2]. وقال جل ثناؤه: ﴿**وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون**﴾[3]. وسمعت أبا زيدٍ يقول: أهل نجد يقولون: «أكننت اللؤلؤة والجارية فهي مكنة، وكننت الحديث وكل صواب»[4].

ولو سار المعجم على هذا المنهج واقتصر على معالجة هذه الأفعال فقط لكان المنهج سليمًا؛ لكنه لم يقتصر على تلك المعالجة بل تناول أنواعًا أخرى من الأفعال.

١ ـ أفعال جاءت على «فعل» و«أفعل» والمعنى مختلف كقوله: أجبرته على الأمر ولا يقال جبرته. وتقول جبرت الفقير، وقوله: أجرم فلان عمل المجرمين، فأما جرم فلان فكفب[5].

٢ ـ أفعال جاءت على «فعل» فقط كقوله نقلاً عن الاصمعي: نضر الله وجهه ولم نسمع أحدًا يقول أنضر. وانشد لابن الرقيات: نضر الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات وكقوله أيضًا: طلعت الجبل ليس غير ذلك. ولا يقال اطلعت الجبل[6].

٣ ـ أفعال جاءت على «أفعل» فقط كقوله: أخلد إلى الأرض لا يقال غير ذلك فهو مخلد وقوله: اكتبت يده إذا غلظت، ولا يقال كتبت. وقوله: احشمت الرجل إذا حدثته بحديث فغضب منه

---

(١) سورة الطور آية ٢٤.
(٢) سورة البقرة آية ٢٣٥.
(٣) سورة القصص آية ٦٩.
(٤) فعلت وأفعلت ورقة ـ ١ ـ.
(٥) المرجع نفسه، ورقة ٧، ٨.
(٦) المرجع نفسه، ورقة ٤، ١٠.

ولا يقال حشمته[1].

٤ ـ **أفعال جاءت على « فعل »** لازمة ثم دخلت عليها الهمزة فعدّتها كقوله: يقال مح الثوب إذا أخلق، **ولا يقال أمح** ولكن يقال امح البلى الثوب فكأنه مما ينفذ إلى مفعول. **وقوله: يقال** صمت القوم ولا يقال اصمتوا الّا أن تقول: اصمتوا غيرهم[2].

وبعد، إذا أردنا تعداد الأمثلة لطال بنا الحديث عن ذلك وهذا لن يحصل؛ بل أوردنا بعض الأمثلة فتولدت لدينا بنتيجتها ملاحظات عدة:

١ ـ لم يفصل بين أنواع الأفعال بل عالجها مختلطة.

٢ ـ لم يبين حركات وزن « فعل » ولم يعتبر حركة العين في الفعل. فلم يفصل بين: فَعَل، فَعُل، فَعِل: بل خلطها أيضًا.

٣ ـ ساق الفعل تلو الآخر من دون اعتبار معين لذلك جاءت أفعاله على النحو الآتي: كنّ ـ حمى ـ ركب ـ جز... نهج ـ خلُق ـ سمل ـ ينع ـ سكت ـ صمت ـ سلك ـ امنح ـ نكر ـ حزن ـ أخلد ـ عصف ـ طلع ـ جلب... الخ.

٤ ـ نتيجة لهذه الفوضى، نجده يعالج بعض المواد في غير موضع، ويعيد الكرّة بالمواد نفسها كقوله في الفعل « مدّ »: مددت الدواة زدت فيها المداد.. وأمددتها جئتها بمداد، وقالوا جميعًا:

---

(١) المرجع نفسه، ورقة ٤، ١٤، ١٥.

(٢) فعلت وأفعلت ورقة ٢، ٣.

أمددتك بفاكهة ورجال، قال الله جل ثناؤه: ﴿إني ممدكم بألف﴾[1] **ومد النهر**. وأمد بالجرح إذا صارت فيه رمدة[2] **ثم عاد في موضع آخر وقال**: يقال مددت فلانًا بشيء إذا كان عنده بعض الشيء **فزدت فيه**، ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿**وجعلت له مالًا ممدودًا**﴾[3] ... وأما مددته بجيش فبعثت إليه بمدد مستأنف من عندي، **قال** الله عز وجل: ﴿**وامددناهم بفاكهة**﴾[4]. وقال جل ثناؤه: ﴿**يمددكم بأموال وبنين**﴾[5].

وبناءً على ما تقدم يمكن أن نقول بأن المعجم يفتقد إلى النظام وهو بحاجة إلى الترتيب والتنسيق، فضلًا عن أنه يعالج **نوعًا خاصًا من الأفعال**.

المعجم الثاني: فعلت وأفعلت، «للزجاج»[6].

امتاز هذا المعجم بالنضج والترتيب في التأليف وإن لم يبلغ الغاية الممتازة في ذلك.

موضوع المعجم ومنهجه: يعالج هذا المعجم الأفعال التي جاءت بصيغة «فعلت» وصيغة «أفعلت»، ويدخل في ذلك «ما تكلمت به العرب على لفظ فعلت وأفعلت والمعنى واحد، وما تكلمت به على لفظ فعلت وأفعلت والمعنى مختلف، وما ذكر فيه فعلت وحده، وما ذكر فيه أفعلت وحده»[7]. وقد حاول الزجاج

(١) سورة الأنفال آية ٩.
(٢) فعلت وأفعلت ورقة ٥.
(٣) سورة المدثر آية ١٢.
(٤) سورة الطور آية ٢٢.
(٥) فعلت وأفعلت ورقة ٢٨ والآية رقم ١٢ من سورة نوح.
(٦) انظر الجدول في موضع آخر.
(٧) المقدمة، ص: ١٣٠.

أن يفصل بين الأقسام ويعالج كل قسم على حدة. وهذا ما افتقدناه، من قبل، عند السجستاني.

أقسام المعجم:

١ ـ قسّم كتابه إلى مجموعات أربع هي:

أ ـ فعلت وأفعلت والمعنى واحد.

ب ـ فعلت وأفعلت والمعنى مختلف.

ج ـ ما تكلم فيه بأفعلت وما اختير فيه أفعلت دون فعلت.

د ـ ما تكلم فيه بفعلت وما اختير فيه فعلت على أفعلت.

٢ ـ رتب أفعاله بحسب أوائلها وبدأ أوله: باء، تاء... وآخر باب فيه الهمزة.

قال: «وإنما الفناه هذا التأليف ليسهل التماسه»[1]. عالج المجموعتين الأولى والثانية على طريقة التتابع بادئًا التقسيم بحسب الحروف الأولى وبدأ المعجم بباب «الباء» ووضع تحته هاتين المجموعتين. وتلا ذلك باب «التاء» ووضع تحته أيضًا هاتين المجموعتين. وهكذا سارت الأمور إلى باب الهمزة. وعالج كل من المجموعتين المتبقيتين على حدة. فأتى بابًا بعنوان: «ما تكلم فيه بأفعلت وما اختير فيه أفعلت دون فعلت». ثم قسّمه إلى فصول بحسب أوائل الكلمات على عدد حروف الهجاء بادئًا بالباء منتهيًا بالهمزة.

(١) المقدمة، ص: ١٣٠.

وبعد أن فرغ من أفعال هذا الباب عقد بابًا آخر بعنوان « ما تكلم فيه بفعلت دون أفعلت وما اختير فيه فعلت على أفعلت ». رتب أفعاله على النظام السابق.

وامتاز بذلك عن المعجم الأول بما يلي:

أ ـ فصله كل قسم على حدة.

ب ـ ترتيبه الأفعال بالنظر إلى أوائلها وفق الترتيب الهجائي المعروف.

ويشترك معه في عدم اعتباره لحركة « العين » في الفعل، خصوصًا في معالجته لصيغة « فعل » فلم يفصل بين « فَعَل ـ فَعُل ـ فَعِل.

هكذا، كان ينقصه هذا التنظيم ليبلغ الغاية في الترتيب فضلًا عن الترتيب الهجائي الذي يلزمه الدقة؛ فقد ساق أفعاله هكذا: بشر ـ بدا ـ برق ـ بان ـ بر ... الخ ولكنه لم يفعل ذلك.

المعجم الثالث: الأفعال الثلاثية والرباعية. لابن القوطية[1].

يلتقي هذا المعجم مع سابِقَيه بمعالجته لصيغتي « فعل » و« أفعل ».

موضوعه ومنهجه: بدأ معجمه بمقدمة مهمّة تناول فيها المشاكل الصرفية والنحوية مثل تقسيم الفعل إلى ثنائي (رد) وثلاثي صحيح (ضرب) وثلاثي معتل (قال وغزا) وذكر أبواب الفعل

(١) ارجع إلى الجدول في موضع آخر من الكتاب.

الثلاثي بالنسبة إلى الماضي والمضارع وتقسيم الفعل إلى متعد ولازم، وطرق تعدية اللازم وغير ذلك.

قسّم ابن القوطية معجمه إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

١ ـ ما جاء على فعل وأفعل ـ ويشغل معظم الكتاب.

٢ ـ الرباعي ويعني ما جاء على وزن أفعل.

٣ ـ الأفعال الثلاثية الخاصة.

أما ما جاء على « فعل وأفعل » فقد اتبع في ترتيبه الخطوات الآتية:

١ ـ قسمه إلى أبواب بعد حروف الهجاء ووضع تحت كل حرف الأفعال التي تبدأ به.

٢ ـ رتب حروف الهجاء على النحو الآتي: الهمزة، الهاء، العين، الغين، الخاء، الحاء، الجيم، القاف، الكاف، السين، الشين، الصاد، الضاد، اللام، الراء، النون، الطاء، الظاء، الذال، الدال، الباء، التاء، الثاء، الزاي ـ الفاء، الميم، الواو، الياء.

وفي ذلك قد اعتمد الترتيب المخرجي، لكن مع وضع الحروف المتشابهة في الصورة بجوار بعضها.

٣ ـ قسم كل حرف إلى فصلين أولهما: ما جاء على « فعل وأفعل » والمعنى متفق وثانيهما: ما جاء على « فعل وأفعل » والمعنى مختلف.

٤ ـ قسّم الأفعال إلى مضاعف وصحيح ومهموز ومعتل من دون النظر في الحرف الأول المعقود باسمه الباب. لهذا، هو يقسم باب الهمزة من «الثلاثي على فعل وأفعل باختلاف معنى» إلى صحيح ومعتل، وباب الواو من «الثلاثي على فعل وأفعل بمعنى واحد» إلى صحيح ومهموز ومعتل، وباب الواو من «الأفعال الثلاثية الخاصة» إلى مضاعف وثلاثي صحيح ومهموز ومعتل.

٥ ـ حرص على افراد كل نوع من الأفعال الثلاثية على حدة أيًّا كان ضبطه سواء ضبط بحركة واحدة أو أكثر. فهناك عنوان «لفَعَل» وآخر «لفَعَل وفَعِل» وثالث «لفَعِل» ورابع «لفَعَل وفَعُل وفَعِل»... الخ.

٦ ـ يفصل بين الأفعال المعتلة الواوية واليائية وبين ما كان مكان حرف العلة فيه العين أو اللام وبين ما اعتل وما بقي من دون اعلال.

أما الأفعال الرباعية فقد اتبع في ترتيبه لها ما اتبع من خطوات للثلاثي ما عدا القسمين الثالث (حيث يقسم كل حرف إلى فصلين...) والخامس (حيث حرص على افراد كل نوع عن الأفعال...).

وقد اتبع في ترتيب الأفعال الثلاثية الخاصة ما جاء في الأقسام كلّها ما عدا القسم الثالث حيث تقسيم الحروف...

بعد هذا العرض، تكوّن لدينا حول هذا المعجم الأفكار الآتية:

أ ـ اختار ابن القوطية في معجمه الترتيب المخرجي في تنسيق حروف الهجاء. ووضع الحروف المتشابهة في الصورة متجاورة. وبينما نجده قد جمع بين العين والغين وبين الجيم والحاء والخاء وبين السين والشين... نجده قد فرّق بين الراء والزاي وبين الفاء والقاف.

ب ـ لم يحترم الأصل الرباعي للأفعال بل أخلّ به في غير باب. ففي حرف العين ما جاء على « فعل وأفعل بمعنى واحد » باب فَعِل، وضع الفعل « عور » في الصحيح إلى جانب عدم وعبس وعشب، وفي موضع آخر وضع مع الصحيح من الأفعال عوص وأعوص، وعي وأعيي، مع أنه افرد بابًا للمعتل بعد ذلك.

المعجم الرابع: كتاب الأفعال.

مؤلفه: هو أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري[1] لقبه السرقسطي، من أهل قرطبة.

موضوعه ومنهجه: جاء في مقدمة الكتاب « أن ابن القوطية قصد الايجاز حتى أضل في كثير من المواضيع وان السرقسطي أصلح هذا الخلل بعد الرجوع إلى ابن القوطية نفسه وأنه الحق به كثيرًا من الأفعال حتى بلغ عددها ٢٧٥٣ فعلًا »[2].

أ ـ قسّم السرقسطي معجمه إلى ثمانية وعشرين بابًا بعدد حروف الهجاء ووضع كل فعل تحت الحرف المبدوء به. ثم رتب

(١) ارجع إلى الجدول في موضع آخر من هذا الكتاب.

(٢) انظر كشف الظنون ـ الأفعال وتعاريفها، وبغية الوعاة للسيوطي. ومقدمة كتاب الأفعال: دار الكتب المصرية ـ قسم اللغة.

الحروف ترتيبًا صوتيًا على النظام الآتي:

الهمزة، الهاء، العين، الحاء، الخاء، الغين، القاف، الكاف، الضاد، الجيم، الشين، اللام، الراء، النون، الطاء، الدال، التاء، الصاد، الزاي، السين، الظاء، الذال، الثاء، الفاء، الباء، الميم، الواو، والياء.

هذا الترتيب، يطابق ترتيب سيبويه في كتابه[1]، ويخالف إلى حد بعيد ترتيب الخليل في العين[2].

ب ـ جزّأ كل حرف إلى فصول أربعة هي: «فعل وأفعل» بمعنى واحد و«فعل وأفعل» بمعنى مختلف ثم الثلاثي المفرد ويعني به: «فعل» دون «أفعل». والرباعي المفرد وما جاوزه بالزيادة ويعني به: «أفعل» دون «فعل».

ج ـ اعتمد في أقسام الفصول الثلاثة الأولى تقسيم الفعل إلى مضاعف وصحيح ومهموز ومعتل من دون النظر إلى الحرف الأول المعقود باسمه الباب. (كما فعل ابن القوطية).

د ـ حرص على إفراد كل صيغة من الفعل الثلاثي بمكان مثلًا:

فَعَل، فَعَلَ وفَعِلَ، فَعُلَ وفَعِلَ، فَعُلَ وفَعَلَ، فَعَلَ وفَعِل وفَعُلَ، فَعُلَ، فَعِل.

---

(١) الكتاب ٢/٤٠٤.

(٢) انظر كتاب العين. ت. د. عبدالله درويش. ص ٣٥٣.

هـ - عرض في الفصل الرابع كل ما جاوز ثلاثة أحرف سواء كان من مزيد الثلاثي أو مجرد الرباعي أو مزيد الرباعي. وقسّم كل حرف إلى أقسام بعدد ما جاء منه من أبنية.

فطريقته فيما مضى قضت بتقسيم كل حرف إلى فصول من حيث الصحة والاعتلال ثم يذكر تحت كل فصل الأبنية التي جاء منها باعتبار تغير حركة العين. أما في الفصل الرابع، هذا، فقد بدأ بتقسيم الفعل بحسب ابنيته، وكل بناء إلى أقسام من حيث الصحة والاعتلال.

وبدأ في هذا الفصل بالصحيح ثم تلاه المهموز فالمضاعف، بينما يبدأ في الأقسام السابقة بالمضاعف ثم الصحيح فالمهموز. كما أنه لم يتبع نظامًا معينًا فاضطربت الأبنية في ترتيبها وفق تقديم بعضها على بعض فمثلًا رتب الأبنية في حرف العين هكذا: أفعل - فعلل - فعّل - تفعّل - استفعل - فوعل، فيعل - فعول، فعيل، افعنلل، افعول، افعوعل، افتعل، تفاعل.

ورتبها في حرف الهاء هكذا: افعل - فعلل. فعّل - فوعل - تفعل، افتعل، افعنلل - افعلل، انفعل، فاعل ورتبها في حرف النون هكذا: افعل - فعلل - تفعلل - فعّل - تفعّل - فيعل افتعل - استفعل...

وتطرّق أيضًا إلى التفريق بين نوعين من المعتل:

أ - ما سلم من الاعلال: الحق هذا النوع بالصحيح فوضع: «أذِي» و«عوض»... في الصحيح ولم يضعها في باب الاعلال.

ب ـ ما اعتلّ بقلب حرف علته إلى حرف آخر. كوضع فعل «آرِيَ» في باب الاعلال لأن فيها لغة أخرى هي «آرَى».

مقارنة بين ابن القوطية والسرقسطي: إذا أردنا المقارنة بين معجمي ابن القوطية والسرقسطي حصلنا على بعض المميزات:

١ ـ خالف السرقسطي ابن القوطية في ترتيب الحروف فاختار منهج سيبويه في ذلك.

٢ ـ اتفاقهما في تقسيم الفصول الأولى. أما في الفصل الرابع فيشتركان في صيغة «أفعل» فقط ويختلفان في غيرها.

٣ ـ يحافظ السرقسطي على عبارة ابن القوطية في الفصول المشتركة. لكنه أدخل بعض التعديلات ذكرها في مقدمة كتابه ومثاله:

«جاء في كتاب ابن القوطية في حرف التاء من «فعل وأفعل باختلاف معنى» تحت عنوان و«بالياء في عينه معتلًا»: «شاع الشيء تبعًا سأل وأتاع الرجل قاء» فجاء السرقسطي واستبدل بهذا المثال مثالًا آخر نسبة إلى ابن القوطية فقال: قال أبو بكر: تاح يتيح تيحًا إذا تمايل في مشيه.. ويقال له في الخير أتاح الله له من أنقذه أي يسر». ونقل الفعل «تاع» إلى حرف التاء من «فعل وافعل بمعنى واحد» تحت عنوان «المعتل بالواو في عينه» وقال: «يقال تاع الرجل توعًا وأتاع إذا قاء».

ثم أضاف السرقسطي بعض الشواهد كفعل اهطع: اسرع مقبلًا

ببصره على ما أقبل عليه» وهو ما لم يستشهد عليه ابن القوطية ـ بقول الشاعر:

تعيدني نمر بن سعد وقد أرى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع

وبقوله تعالى: ﴿مهطعين إلى الداعِ﴾[1].

وللمزيد من الايضاح، اعتمد تكرار اللفظ عند كل معنى جديد. وأضاف أفعالًا اهملها ابن القوطية. وهذا يتضح من المثال الآتي: قال في حرف التاء تحت عنوان «فعل وأفعل بمعنى في المضاعف»: «تم الله عليك النعمة تمامًا وأتمها». قال أبو عثمان: وتقول تخ العجين وأتخه كثر ماءه حتى يسترخي، وتخ الطين واتخه مثله ويقال بالثاء... والأول أعلى». وهناك تعديلات أخرى كتقديم السرقسطي قسم الثلاثي على الرباعي في حين أن ابن القوطية قد عكس، وتقديم بعض العناوين على بعض كما حدث في قسم التاء من الثلاثي:

ابن القوطية:

١ ـ المعتل بالواو في عينه.
٢ ـ وبالواو والياء في عينه.
٣ ـ وبالياء في عينه.
٤ ـ وبالياء في لامه.

السرقسطي:

١ ـ المعتل بالواو في عينه.

---

(١) سورة القمر آية ٨.

٢ ـ وبالياء (في عينه).

٣ ـ وبالواو والياء (في عينه)

٤ ـ وبالياء في لامه.

على الرغم من الجهود التي بذلها السرقسطي في سبيل تحسين المعجم بما قدمه من زيادات وشروحات فإن لنا بعض الملاحظات في هذا الباب نوردها كما يلي:

١ ـ لجوئه إلى التقسيمات الكثيرة ووضع العناوين مما يحير الباحث ويتعبه.

٢ ـ اتباعه الترتيب الصوتي في ترتيب الحروف مما يجعل البحث في معجمه صعبًا لا يقل في صعوبته عن ترتيب ابن القوطية في معجمه.

٣ ـ مراعاته في ترتيب الأفعال حرفها الأول واهماله الثواني والثوالث.

لذلك ساق الأفعال في المضاعف من الثلاثي المفرد على النحو الآتي: بعّ، بحّ، بزّ، بجّ، بطّ، بلكّ، بضّ، بثّ، بصّ.

ولو راعى في ترتيب الثواني ما اتبعه في ترتيب الأوائل لجاءت على النحو الآتي: بع ـ بح، بك، بض، بج، بط، بص، بز، بث.

٤ ـ شمول معجمه على اضطراب واضح في الفصل الأخير كما رأينا سابقًا.

المعجم الخامس: كتاب الأفعال لابن القطاع[1].

تناول المؤلف في مقدمة هذا المعجم الحديث عن العيوب التي وجدها في أفعال ابن القوطية والتي كانت السبب في تأليف هذا المعجم.

أهم هذه العيوب يتمثل في أن ابن القوطية لم يذكر سوى الأفعال الثلاثية وما دخل عليها من الهمزة، وقد خلط في التبويب وقدّم وأخّر في الترتيب، فضلًا عن أنه جعل الثلاثي باتفاق معنى في أبواب وباختلاف معنى في أبواب، والمزيد بالهمزة في أبواب والثنائي المضعف في أبواب، والمتفق والمختلف منه في أبواب؛ فأتعب الناظر وانصب الخاطر وصار الطالب للحرف يجده متفرقًا في الكتاب في عدة أبواب. كما أن ابن القوطية لم يذكر في معجمه الأفعال الرباعية الصحيحة ولا الخماسية والسداسية المزيدة ولا الثنائية المكررة[2].

١ ـ منهجه:

قسّم ابن القطاع معجمه بعدد حروف الهجاء مرتبًا أيّاها على النحو الهجائي المعروف. ثم فرّغ كل حرف إلى أقسام: أ ـ فعل وأفعل من الثلاثي الصحيح بمعنى واحد وبغيره؛ أدخل في هذا الباب كل ما ذكره ابن القوطية من الثلاثي الصحيح بما اتفق على

---

(١) هو أبو القاسم علي بن جعفر السعدي اللغوي المعروف باب القطاع. انظر الجدول.

(٢) كتاب الأفعال: ص ٣ ـ ٤ ـ ٥.

معنى واحد وبما اختلف والغى الأقسام الفرعية الموجودة تحت كل قسم[1] وبذلك تخلص من التفريعات الكثيرة التي تحيّر الباحث وتتعب الناظر.

٢ - باب الثنائي المضاعف:

وقد وضع تحته أفعالًا نحو «أم» و«أج» وهذا ما يعرف بالثلاثي المضعّف وكذلك مزيده بالهمزة نحو أخس وأخت[2].

٣ - باب المهموز:

ويقصد به ما كانت عينه أو لامه همزة نحو: «بدأ» و«بأل»[3] وأراد أيضًا المهموز الثلاثي ومزيده بالهمزة لذلك كانت جميع أمثلته تحت هذا الباب. ووضع فعلًا مثل «بلأص» في باب الرباعي الصحيح[4].

٤ - باب المعتل:

ويشمل عنده الأجوف مثل -«آب» و«آد» والناقص مثل «أتى» واللفيف مثل «أوى»[5].

---

(١) انظر ما سبق عن نظام كتاب ابن القوطية «ما جاء على فعل وأفعل».
(٢) صفحات ٣٩، ٥٠، ٣١٠.
(٣) صفحات ٩٥، ٩٨.
(٤) ص ١٠٩.
(٥) صفحات: ٥٨، ٥٥، ٥٤.

٥ ـ باب الثنائي المكرر:

ويعني به الرباعي المضعّف؛ ما كانت فاؤه ولامه الأولى من جنس وعينه ولامه الثانية من جنس مثل بخبخ وبطبط[١].

٦ ـ باب الرباعي الصحيح:

ويريد به فعلل، غير المكرر، وتفعلل، والثلاثي المزيد بحرف، ما عدا أفعل، كفاعل نحو «دأكأ» وفعل نحو «دبح»، و«دوخ» كما يشمل عنده المهموز مثل «بلأص» و«بلأز» والملحق بالرباعي مثل «بيقر»[٢].

٧ ـ باب الخماسي والسداسي:

ويقصد به كل ما جاء على خمسة أحرف أو أكثر. سواء كان من المزيد الثلاثي نحو انبلق أو من المزيد الرباعي نحو «ابرنشق وتبذعر» وسواء كان صحيحًا نحو احرنجم أو مهموزًا نحو اخطأب واحفأظ أو معتلًا نحو: «احزوزى واستطان»[٣].

وفيما عدا ذلك لم يلتزم ابن القطاع أي ترتيب:

أ ـ لم يراع في ترتيب الأفعال سوى حرفها الأول فقط. ولم يعتبر ثانيها ولا ثالثها وهذا عيب في ترتيب المعجم، لا ندري كيف لم يتنبّه إليه المؤلف برغم تأخره الزمني.

---

(١) ص: ١٠٥، ١٠٧.

(٢) ص: ٣٧٨، ٣٧٩.

(٣) ص: ١١٣ ـ ٢٧١ ـ ٢٧٢ ج ١ وص ١٧٣ ج ٢.

ب ـ اضطرب في الرباعي المزيد بالتاء، فوضعه تارة في قسم الرباعي كما فعل مع الأفعال «تبهلص». و«تبلهص» و«تبحلس»، وطورًا في الخماسي كما فعل في «تبرنس» و«تبعرص» و«تبذعر» و«تبلخص»[١].

ج ـ كما أخطأ في ايراد بعض الأفعال المعلنة في الصحيح، كالأفعال «خطا» و«حوث» و«دمى» و«دوى» و«ذوط» و«رذى» و«زكى»[٢].

د ـ واضطرب أيضًا في المزيد الثلاثي بتضعيف العين، فوضعه مرة في باب الثنائي المضاعف كما فعل مع «أرخ وأكد»[٣]، ووضعه مرة أخرى في الرباعي الصحيح كما فعل مع «دبح ودوخ»[٤].

مقارنة بين ابن القوطية وابن القطاع:

إذا أردنا أن نلخص عمل ابن القطاع في كتاب ابن القوطية نجده كما يأتي:

١ ـ أهمل ابن القوطية أبواب «الثنائي المكرر» والرباعي الصحيح، فيما عدا أفعل، و«الخماسي» والسداسي»، فزادها ابن القطاع لعله في ذلك يكون معجمه شاملًا.

---

(١) ج ١، ١٠٩، ١١٢.
(٢) ج ١، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٥٣.
(٣) ج ١: ص ٥٣ ـ ٥٤.
(٤) ج ١: ص ٣٧٩.

٢ ـ ألغى غير قسم أتى به ابن القوطية.

٣ ـ وزاد ابن القطاع المادة اللغوية بادئًا بعبارة ابن القوطية مسبوقة بحرف (ق) من دون تغيير فيها ثم يتبعها بزيادته بادئًا بحرف (ع) إشارة إلى اسمه. غير أن زيادات ابن القطاع تخلو من الشواهد على خلاف ما قام به السرقسطي.

وعلى الرغم مما نجده في هذا المعجم وفي معجم السرقسطي من خلط في ترتيب الأبنية ومن اهمال لاعتبار ثواني الأفعال وثوالثها، فإننا نعتبره أكمل معجم في الأفعال وقد فاق معجم السرقسطي لالغائه التقسيمات الكثيرة واتباعه الترتيب الهجائي العادي؛ فسهل على المطلع البحث والرجوع من دون عناء وتكلف.

خاتمة

إن ما استطعنا جمعه من حطام هذه المدونات لا يعدو كونه قبس نور في تلك الحضارة. فالأندلسيون، لم يبدأوا التأليف في هذا النوع، قبل القرن الثالث الهجري. فكان منها كتاب لعبد الملك بن حبيب السلمي (ت ٢٣٩/٨٦٠) وثان لأبي عبدالله محمد بن عبد السلام الخشني (ت ٢٨٦/٨٩٩) وثالث لقاسم بن ثابت السرقسطي (ت ٣٠٢/٩١٢).

لم نعرف شيئًا عن الكتابين الأوّلين، أما الثالث فقد حدثنا ابن خير الاشبيلي عنه قائلًا: «إنه كان في نيف وعشرين جزءًا، شرح حديث النبي عليه السلام في أحد عشر جزءًا، وحديث[1].

ومن هذا الوصف القليل نعرف أن الكتاب لم يكن معجمًا مرتبًا بحسب أي شكل من أشكال المعاجم، غير أنه سار على طريقة كتاب «الدلائل» لقاسم بن ثابت السرقسطي الذي ألفه في الأندلس سنة (٢٩٩/٩١١)[2].

---

(١) الفهرسة: ١٩٥.

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية: عز الدين التنوخي - دمشق م ٤١ - ج ١ سنة ١٩٦٦.

بوّب كتابه بحسب السياق التاريخي لرجال الصحابة مبتدئًا بالرسول، منتهيًا بتابعي التابعين. وفي ذلك كلّه يورد نص الحديث أو الفقرة المتضمّنة منه لألفاظ غريبة ثم يشرح ما قصد إليه من ذلك مستشهدًا بالأشعار وناقلًا عن الرواة[1]. ويبقى في هذا السياق بعض المعاجم؛ منها ما اختص بالأفعال والبعض الآخر بالأسماء، فالتي اختصت بالأفعال، كان أقدمها ظهورًا كتاب (فعلت وافعلت) للقالي، كما رأينا، وهو يعتني بصيغتين من صيغ الأفعال هما: فعل وأفعل. وربما استفاد ابن القوطية منه فأصدر كتابه (كتاب الأفعال) الذي قسّم المادة إلى ثلاثة أقسام أساسية بحسب الصيغ الرئيسية للأفعال، ثم عمد بعد ذلك إلى مواد كل قسم ورتبها ترتيبًا أبجديًا صوتيًا مخالفًا لطرق الخليل وسيبويه والقالي. فاعتبر بهذا النظام أهم كتاب أندلسي وعربي عرفناه في هذا الموضوع[2]. أما الكتب الأخرى التي اختصت بالأسماء فهي على نوعين: نوع اهتم بجمع الاسماء والصفات كالمقصور والممدود والمهموز. ونوع آخر اهتم بجمع طائفة من الأسماء تشترك في خاصيتين:

الخاصّة الأولى، انها مؤلفة من ثلاثة أحرف.

والثانية، أن عين الكلمة فيها ثلاثي النطق: يفتح ويضم ويكسر مع اختلاف في المعنى أو اتفاقه، مثال: البرَ والبرُ والبرِ وقد دعيت هذه الأسماء (مثلثات).

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) كشف الظنون ١/١٣٣. سبق أن وقفنا على خصائص هذه المعاجم.

أهم هذه المؤلفات كتاب «المثلثات» لأبي محمد عبدالله بن سيد البطليوسي (ت ١١٢٦/٥٢١)؛ فقد قسم الكتاب إلى حروف بحسب التسلسل الألفبائي مبتدئًا بالهمزة فالباء فالتاء على نظام المعاجم الألفبائية، ثم قسّم المواد داخل كل حرف إلى بابين: باب المثلث المتفق المعنى ثم باب المثلث المختلف المعنى[1]. وقد اعتنى أيضًا بالشواهد الشعرية وأقوال اللغويين، وحاول البطليوسي تطوير التأليف في مدونات اللغة حتى اقترب من بناء المعجم.

أما بعد، فلم تكن غايتنا من هذا البحث سوى إظهار جانب من النشاط التأليفي الذي حضنته الأندلس متمثلًا في الناحية المعجمية، في حقبة تزيد على أربعمائة عام، فجاء البناء منسّقًا على الوجه الآتي:

١ - بدأنا الحديث عن النشاط اللغوي بصورة عامة. كيف نشأ وتطور وعلا مقامه حتى بلغ شأوًا عظيمًا.

٢ - اتضح أن معظم التأليفات المعجمية اتخذت بصورة عامة كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي محورًا وثبتًا، لذلك ابتدأنا بالكلام عليه في الفصل الثاني عندما تناولنا عرض التأليفات المعجمية.

٣ - استبانت أهمية مدرسة القالي واتجاهها في ترسيخ النوع المعجمي الذي رأيناه. ولم يقف التأليف عنده بل تجاوز اتجاه العين وقوانين القالي إلى غير اتجاه؛ كالاتجاه نحو التبويب ونحو المعاجم

---

(١) مخطط الرباط رقم ٤٥ ق. وعالم الفكر م٢ ع١ ص ١٢٤.

الخاصة. أما الاتجاه الألفبائي فلم نعثر فيه شيئًا يسمن.

٤ ـ إن الكلام على معجم «المسلسل في اللغة» بصورة مستقلة ما كان إلا للتنويه به ولابراز قيمته المعجمية بحيث لو أعيد ترتيب مواده على الطرق الحديثة في بناء القاموس، لكان ثروة تزاد على رصيدنا اللغوي في هذا الباب.

٥ ـ والحديث عن معاجم الأدوية الأندلسية مع قصره، كان ضروريًا للنظرة الشاملة التي رغبنا منذ البداية في أن تحيط بهذا البحث، وربما بقي حق الأندلسيين بدونها ناقصًا.

٦ ـ إفراد فصل مستقل بمعاجم الأفعال لما لها من شأن في مسيرة المعجم.

٧ ـ لعل هذا الكتاب بناءٌ جديدًا متخصصًا في جمع مادة مهمة في التراث العربي. واعترف بأنه قد توكأ في بعض الأحيان على أبنية سابقة، ومع ذلك فقد أنشد الفرادة فحظي بها وجاء رائدًا في التقدم. وإن أعطته هذه الريادة قيمة فقد زادته صعوبة في البحث والتنقيب والنبش في بطون المصادر ومراجعة المخطوطات، حتى حجزني وسواس العمل مدّة غير قصيرة.

ويكفيني تعزية أنه فتح الباب أمام الدارسين والمتخصصين ليقفوا عند عظمة القواميس في الأندلس، تلك القواميس التي لم تزل بحاجة إلى دراسات مفصّلة أكاديمية منسّقة، وعلمية مشرقة.

وحسبي في كل هذا تمجيد للخالق الذي منَّ عليَّ من نعمة العطاء ما جعل جهد المقلّ محصولًا وفيرًا على بيدر الحضارة.

١ ـ ثبت بأهم المصادر والمراجع العربية

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ ارجوزة ابن سيده : مجلة المشرق، السنة السادسة والثلاثون.

٣ ـ الاستدراك على سيبويه : أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، ت: اغناطيوس غويدي، روما، ١٨٩٠.

٤ ـ اصلاح الخلل الواقع في الجمل : ابن السيد البطليوسي، مخطوطة في دار الكتب المصرية.

٥ ـ الأفعال الثلاثية والرباعية : أبو بكر محمد بن عمر ابن القوطية، ت: اغناطيوس غويدي، ليدن، بريل، ١٨٩٤. وعنه مجلة اللسان العربي المجلد الثامن.

٦ ـ الأمالي : أبو علي القالي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٧ ـ الأمثال : أبو علي القالي، مخطوطة في دار الكتب المصرية ـ رقم: أدب: ٧٤٤٢.

٨ ـ انباه الرواة على انباه النحاة : جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف

القفطي، ت: محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٥٠ - ١٩٥٥، ٣ ج.

٩ - البارع في اللغة : أبو علي القالي، ت: س. فلتن، لندن، ١٩٣٣.

١٠ - البيان المغرب في أخبار المغرب : ابن عذاري المراكشي، ت: ليفي بروفنسال، ط باريز، ١٩٣٠.

١١ - تاريخ الأدب الأندلسي : عصر سيادة قرطبه، احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠.

١٢ - تاريخ الأدب الأندلسي : عصر الطوائف والمرابطين، احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٢.

١٣ - تاريخ افتتاح الأندلس : محمد بن عمر ابن القوطية، ت: عبدالله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٧.

١٤ - تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس : عبدالله بن محمد بن يوسف ابن الفرضي، القاهرة، ١٩٥٤.

١٥ - التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه : عبدالله بن عبد العزيز البكري، القاهرة ١٩٥٤.

١٦ - جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس : محمد بن فتوح بن عبدالله الحميدي، ت: محمد تاويت الطنجي، القاهرة، ١٩٥٢.

١٧ - الحركة اللغوية في الأندلس : ألبير حبيب مطلق المكتبة العصرية صيدا - ١٩٦٧.

١٨ ـ حضارة العرب في الأندلس : ليڤي بروفنسال، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة بيروت.

١٩ ـ دار الطراز في عمل الموشحات : ابن سناء الملك، ت: جودت الركابي، دمشق، ١٩٤٩.

٢٠ ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : أبو الحسن علي ابن بسام الشنتريني، القسم الأول والثاني من الجزء الأول والرابع القاهرة: ١٩٥١.

٢١ ـ الزجل في الأندلس : عبد العزيز الأهواني، القاهرة، ١٩٥٧.

٢٢ ـ الصلة : أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال القاهرة، ١٩٥٥. ٢ ج.

٢٣ ـ طبقات الأمم : أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي، ت: الأب لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٢.

٢٤ ـ طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، ت: محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٥٤.

٢٥ ـ عروق الذهب في مناجم الروم والعرب : سيمون الحايك، البوليسية، لبنان.

٢٦ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء : موفق الدين أحمد بن القاسم ابن أبي صيبعة.

٢٧ ـ غرناطة في ظل بني الأحمر : يوسف شكري فرحات، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٢.

٢٨ ـ فجر الأندلس : حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥٩.

٢٩ ـ الفهرست : ابن النديم، ت: فلوجل، بيروت، ١٩٦٤ .

٣٠ ـ فهرست ابن خير : أبو بكر محمد ابن خير ، ت: كوديرا وريبيرا ، بيروت.

٣١ ـ فوات الوفيات : محمد بن شاكر الكتبي، ت: محيي الدين عبد الحميد القاهرة، ١٩٥١ .

٣٢ ـ فون شاك : الفن العربي في اسبانيا وصقلية. ت: الطاهر أحمد مكي دار المعارف ـ مصر ١٩٧٧ .

٣٣ ـ لحن العامة : عبد العزيز مطر ، الطبعة الثانية دار المعارف مصر ، ١٩٨١ .

٣٤ ـ لحن العوام : أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، ت: رمضان عبد التواب، ط ١ ، القاهرة، ١٩٦٤ .

٣٥ ـ اللسان العربي : مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب، الرباط، المجلد الثامن، ١٩٧١ .

٣٦ ـ اللغة العربية معناها ومبناها : تمام حسان، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٣ .

٣٧ ـ مجلة مجمع اللغة العربية : دمشق، م ٤١ ١٩٦٦ .

٣٨ ـ المحكم والمحيط الأعظم في اللغة : علي بن اسماعيل ابن سيده، نشر مصطفى البابلي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨ .

٣٩ ـ المخصص : علي بن اسماعيل ابن سيده، مصر، ١٩٠٤ .

٤٠ ـ معجم الأدباء : شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي، مكتبة عيسى البابي الحلبي ١٩٣٨، ٢٠ ج.

٤١ ـ معجم البلدان : شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي، دار صادر بيروت، ١٩٥٥، ٧ مجلدات.

٤٢ ـ المعاجم العربية : عبدالله درويش، مصر، مكتبة مارون عيسى الخوري، طرابلس.

٤١ ـ المعاجم اللغوية : محمد أبو الفرج، دار النهضة العزبية، مصر ١٩٦٦ ـ مكتبة مارون عيسى الخوري، طرابلس.

٤٠ ـ المعجم العربي : حسين نصار، دار الكتاب العربي، مصر، القاهرة، ١٩٥٦.

٤١ ـ المعجم العربي : عدنان الخطيب، معهد البحوث والدراسات العربية جامعة الدول العربية ١٩٦٧، مكتبة مارون عيسى الخوري ـ طرابلس.

٤ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : أحمد بن محمد المقري التلمساني: ت: احسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٦٨، ٨ ج.

٢ ـ المراجع الأجنبية

٤٧ - – Histoire de L'Espagne Musulmane
Levi-Provencal, vol. I – III
Paris – 1950 – 1953.

٤٨ - – Islam d'Espagne
Henri Terrasse
Paris – 1958.

٤٩ - – Nouvelle Histoire d'Espagne
Maurice Legendre
Paris – 1938.

٥٠ - – Origines del Espagñol
Ramon Menindez Pidal
3rd ed. Madrid – 1950.

فهرست عام

معاجم الأفعال:

خاتمة:

To: www.al-mostafa.com